المدخل السُّفُنِيّ في تحليل الأسرة
دراسة في عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية

أ.د. سيف الدين عبد الفتاح
أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

مقدمة حول الدواعي المعرفية والمنهجية والعلمية والعملية لدراسة الأسرة من منظور السفينة:

تبرز أهمية دراسة الأسرة مجددًا من خلال المنظور السُّفني لحزمة من الدواعي لا نستطيع بحال تجاهلها. أغلب هذه الدواعي سلبي يجب التعامل معه، والنذر اليسير إيجابي وجب تكريسه وترسيخه وتمكينه فعلاً وتفعيلاً وفاعلية.

أول هذه الدواعي يشير –بوضوح– إلى عناصر التفكُّك الأسري، والتي تشكل أهم قابليات تفكيك الأسرة من رؤًى تأتي من أنساق حضارية تملك رؤاها الخاصة، وتجعل رؤانا في حكم التخلف والإعاقة، هكذا بالجملة. التفكك الأسري تدل عليه مؤشرات كثيرة، غير أن مآلات هذا التفكك هي ما تشير إلى خطورة الوضع الأسري الذي يتسم بالآتي:

* تآكل التماسك والبناء المتكامل للأسرة، الأمر هنا لم يعد يشير إلى أسرة نووية صارت تحلُّ محل أسر ممتدة، ولكن الأمر يصل إلى حد من تذرير الأسرة وتحويلها إلى أفراد قائمين بذواتهم. انفراط العقد الأسري لا يعني فقط حالات الانفصال المادي بالطلاق أو النزاعات الأسرية، ولكن بقاء الأسرة كشكل ظاهري لا يشير إلى أي معنًى من العلاقات الحميمة أو التراحمية، ولا يحرك فاعليات أطرافها نحو تماسكها أو فاعلية وتكافل أدوارهم في حفظ كيان الأسرة وارتقاء أدوارها وفاعلياتها.

* كان الباحثون السياسيون والمثقفون والعلماء حينما يريدون أن يتحدثوا عن فاعلية تماسك أو تماسك الفاعلية فإنهم يضيفون كلمة الأسرة إلى ما يقصدون الإشارة إلى تماسكه، من مثل استخدام مفهوم "الأسرة الدولية"، أو "قيمة الأسرة" التي يجب أن تسود "الدولة" أو "روح الأسرة" التي من المفروض أن تسري في العمل المؤسسي.

إلا أن الأمر الآن يشير إلى تآكل التماسك، إلى تآكل الفاعلية وانزواء الأسرة وتهميش أدوارها، إلى تراجع فاعلية الأسرة وتفكيك أدوراها التقليدية والتي كانت تشير ومن كل طريق إلى عناصر التماسك الأسري بناءً، وتكامل الأدوار الأسرية عطاءً، وتكافل المقاصد الأسرية ترقيةً ونماءً.

أما **الثاني** فيبدو أحد أهم هذه المؤشرات (زحف المؤسسات الأخرى على مجال الأسرة وفاعلياتها)، ومنازعتها أدوارها، ضمن حركة تصارعية لا تكتفي فقط "بزحف الإحلال"، ولكنها قد تمارس ما هو أعتى وأشد بزحف التذرير والتكسير ضمن عملية تفكيك وجدت حالاً قابلاً تمثله حال التفكك الأسري.

ورغم أن الأسرة شكلت تقليديًا مؤسسة تقليدية أولية، ثابتة الجوهر والكيان، راسخة الأساس والبنيان، وظلت بحكم صفتها **الأولية** التي تشير إلى فطرية بنائها وإرثية عملياتها الكبرى، ومثلت بحق –حينما كانت تبرُز تجمعاتُ أخرى تحاول ومن أي طريق أن تعتدي على حياض فرد فيها أو منها، أو تمس كيانه مثلت حينها مؤسسة حماية توفر عناصر الأمن الشامل الحافظ لكيانها وعناصرها وأطرافها، فهي العائلة والعاقِلة والحافظة والحاضنة. وحتى مع بروز مؤسسات أخرى ربما اعتسفت بالأفراد، فلم تكن هناك مؤسسة يلوذ بها أو يفزع إليها مثل الأسرة، وبدت الأسرة تشكل خطوطًا حمراء قد لا يسهل تجاوزها، حينما تفكر تجمعات أو مؤسسات أخرى صاعدة أن تعتدي على حياضها أو تكسر بيضتها. الأسرة الحاضنة –بهذا المعنى– لم تكن إلا صورة "الدولة الحارسة"، تشكل أهم عناصر الأمن النفسي والاجتماعي، تؤدي وظيفة الأمن التأسيسة، القاصدة إلى حفظ الكيان والبنيان والإنسان.

إن هذه الوظيفة التأسيسة (الأمن بمفهومه الشامل) كانت مجالاً للتفكّك بل والتفكيك، وبدت عملية التفكيك تشكل أهم دواعي النظر في الحالة الأسرية، ورد الاعتبار لأدوارها وفعاليتها ضمن هذا البحث.

أما **الثالث** فهو أنه إذا كانت الأسرة النموذج الذي يستدعي للتعبير عن حال "التماسك" و"التكامل" في بنيانها الذي يَشدُّ بعضه بعضًا، فإن عملية التفكيك لم تطل عناصرَ هامشية فيها، وإنما طالت أساساتها وتأسيساتها، ومفاصلها الفاعلة، ووظائفها، وأدوارها وقدراتها، حتى بدت الكلمة غريبة تطلق على مجتمعات مصطنعة، هادفة إلى "الإحلال" لأشكال جديدة اغتصبت اسم الأسرة اغتصابًا، ضمن **عمليات اغتصاب** التطبيق. وبدت رؤية معينة تتحرك إلى الحياض الأخرى تارة متسللة، وتارت أخرى متعددة تنتحل من الأوصاف ما أرادت من حرية، وتحرير وحقوق،... كلمات أطلقت لم تكن إلا قنابل **دخان كثيف** لتمرير أشكال إحلالية للأسرة. وفي ظل رؤية لا ترى إلا في الجديد معنى "التجاوز" في عملية زحف الرؤى "**وتنميط العالم**"، تحركت صوب مؤسسةٍ مَكِينَةٍ تشكل خط الدفاع الأخير، بعد تراجع دور الدولة التي مافتِئت تتحدث عن سيادتها وتؤكد أنها تحمي الحياض.

إن محاولة تذرير الأسرة وتفكيك أطرافها، وشبكة علاقاتها، وتكافل أدوراها إنما تعبر عن عملية متكاملة.

أما **الرابع** فهو الإيجابي، والذي يدعونا إلى ضرورة ردّ الاعتبار للأسرة كمؤسسة أولية حاضنة حامية، فضمن مفارقات الوضع العولمي، ربما يحسن أن نتصور الأسرة "دولة"، وأن إصلاح الأسرة مقدمة لإصلاح حال الدولة وانسحابها وضعفها وتهاونها ورخاوة بنيانها وأدوارها. الأسرة بما أنها كانت تمثل صورة ذهنية في العقل الإنساني الجمعي: أنها دالة تماسك، يمكن أن تشكل مجالا تدريبيًا للحفاظ على أصول الهوية، وتأصيل فكرة الحقوق التبادلية والتلازم بين الحق والواجب، والقيام بعمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية وفق أنساق قيم حضارية راسخة تمكِّن للأسرة.

أما الخامس فتحدي المرأة: التحدي المعولم: بين تمكين المرأة كجنس، وتمكين المرأة عبر تمكين الأسرة:

إذا ما نظرنا إلى العولمة في إطار الرؤية الكونية للإسلام، وما تقدمه الرؤية الإسلامية للعالم من نقد، فإن التبشير بالعولمة يبدو عملية ممتدة تهدف إلى تنميط السلوك وفق أنساق القيم النابعة من رؤية غربية للعالم، هذا التعميم يُسمى "عولمة" في نظر المتحكمين في صنعه ومقدراته، ولكنه في واقع الأمر تنميط للسلوك، وتعميم لعناصر مركزية غربية، وتعدية لمركزية أنساق القيم الغربية، هذا كله يعني النظر إلى الحضارة الغربية كمعيار.

وضمن هذه الرؤية تتشكل عناصر النظر إلى الآخر الحضاري، وتنبثق رؤية معينة للإنسان والكون والحياة، وتؤسس على الأرض "رؤية عولمية للعالم". ومن جملة هذه الرؤية النظر للمرأة.

وتشكل الوثيقة –موضع التحليل– صورةً للمرأة، تتكون من عناصر عدة متداخلة، تنبثق عن رؤية كلية للمرأة بغية تشييع هذه الرؤية، بل وفرضها.

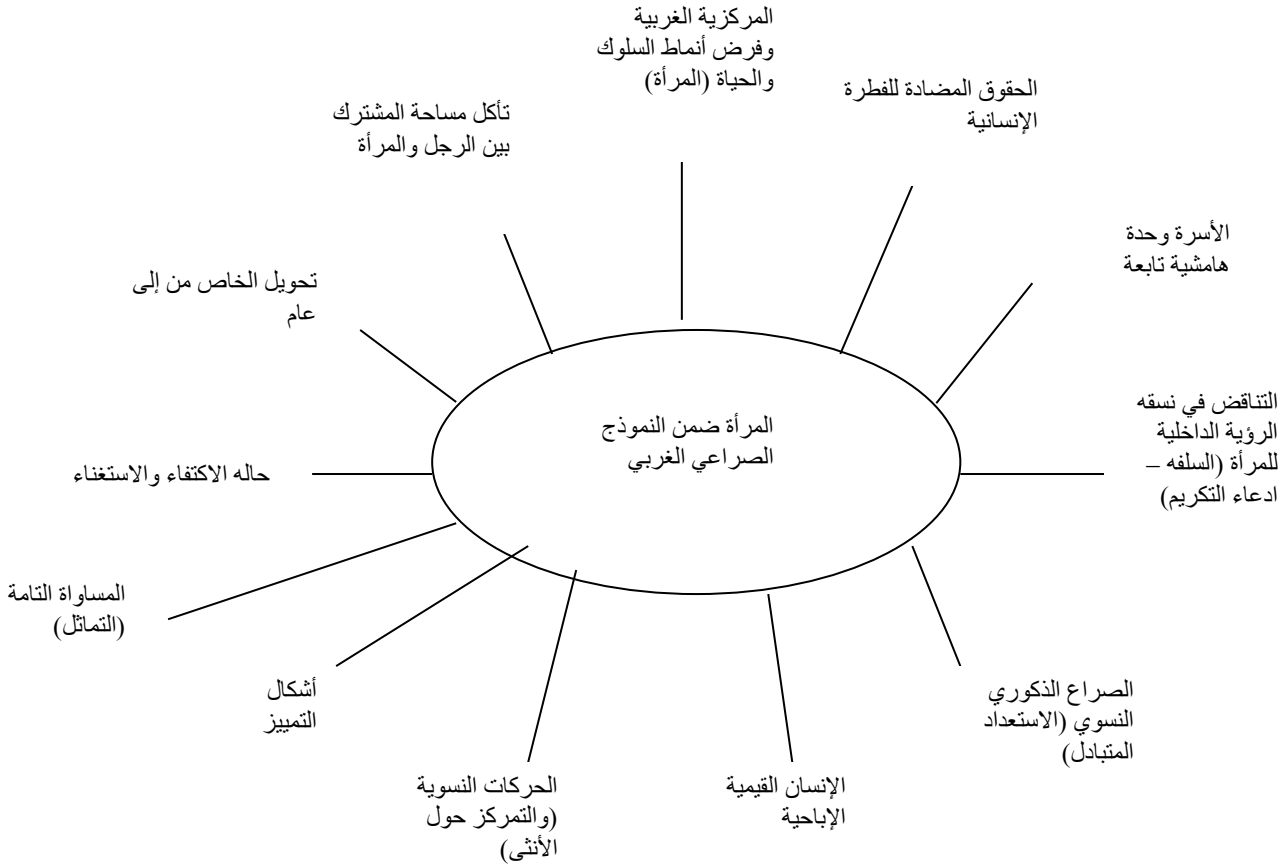

الرؤية الصراعية الغربية:

المرأة كيان فردي (البذرة الصراعية في المجتمع) – التكوين الأسري التابع والهامش (تهميش أدوار أصلية وصناعة أدوار مفتعلة)– المرأة والتنازع بين التمييز والتمييز المضاد– التنازع بين التكريم الشكلي واستغلال المرأة– الصراع في البيئة المعرفية والبيئة الواقعية– التنميط النوعي لنماذج السلوك (المرأة من أهم المداخل العولمية)– استثمار واقع المرأة المهين في العالم الإسلامي في صناعة وتشويه الصورة (الصراع بين المرأة والرجل ومداخل التفكيك).

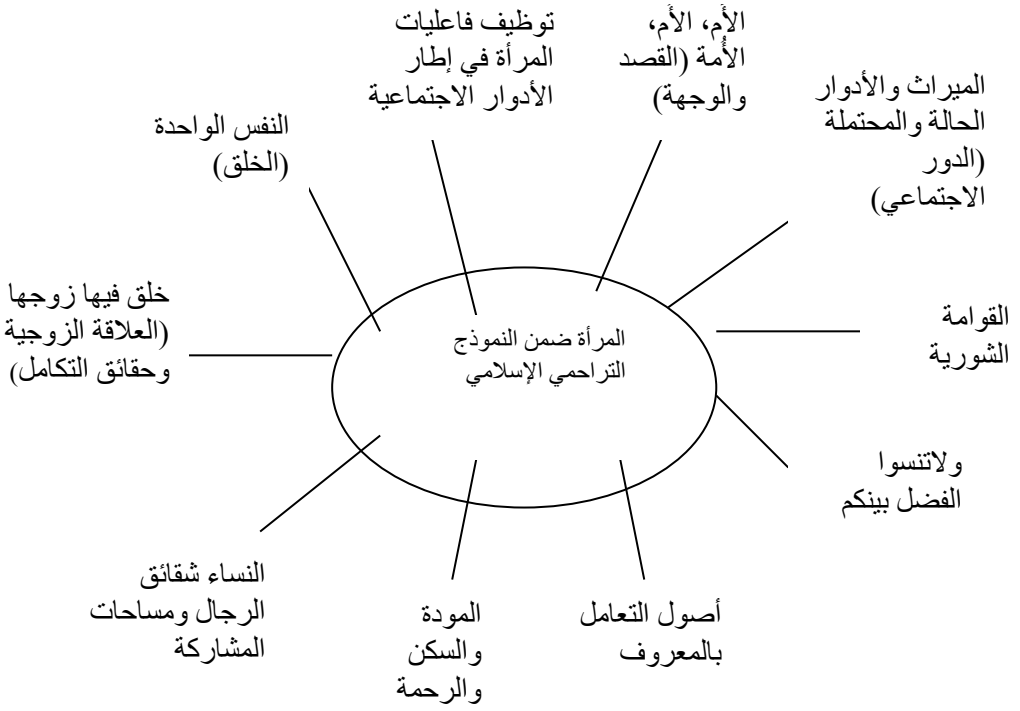

الرؤية الإسلامية للمرأة: حفظ المكانة، حفظ الكرامة، حفظ الفاعلية، حفظ العمارة، حفظ الإدارة وشبكة العلاقات الاجتماعية والجامعة (المرأة في الأمة).

قضية المرأة بين واقع العولمة وواقع عالم المسلمين:

ماذا يمكن عمله حتى يمكن تفعيل عناصر النموذج التراحمي الإسلامي في مواجهة النموذج الصراعي الغربي؟

الأمر هنا يتطلب أن نتعرض للأمر في سياق الشهود الحضاري (الشهادة على العالمين): (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة: آية 143، هذه الشهادة الموصولة والشهادة المرتبطة بأصول المرجعية، وهي شهادة على كل ما يحدث في عالم الشهادة تمكّن للمبادئ التأسيسة والأساسية وتفعلها في حياة الناس والعمران، وترشد الرؤية للإنسان (الفرد القائم بذاته– الفذ المستغني عن غيره– الصراعي على الموارد وما يسمى الحقوق– المادي الذي لا يعرف للروابط الأساسية وأنساق فيمها معنى ...إلخ)، وبدلا من فلسفة "موت الإنسان" أو إهدار قدراته يجب أن تكون أصول إحياء قدراته وفاعلياته العمرانية القاصدة إلى ترقية ذاته وترقية غيره: "(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) سورة الأنفال: آية 24.

والشهادة على الآخرين أو على الناس مرهونة بصلاح الذات وقدراتها وفاعليتها، مشروطة بفعل الخيرية، وحال الوسطية، وتمكين الفاعلية، ولا يصلح شرعًا أو عقلاً في عالم المسلمين أن تُهان أو تُهدر أية فاعلية في الأمة ومنها المرأة.

بين مطارق "العولمة للمرأة" وبين سندان "الواقع الموروث" الذي يشكل حالاً واهنًا ومهدرًا لفاعليات المرأة وطاقاتها، بل وإهدار الفاعليات الإنسانية عامة، بين هذا وذاك تقع قضية المرأة وهو أمر يجعل من فهم جوهر قضايا المرأة والوعي باشكالاتها، وتحديد المفتعل والمنفعل فيها، والمغفل والمنفصل فيها، الأمر الأساسي الذي يحقق الحضور

الفعّال. إن رؤية العولمة التعميمية والمنمَّطة لعالم البشر، ومنه عالم المرأة، صارت تستوجب –باعتبارها رؤية مفروضة على العموم– رؤيةً عالميةً مقابلة تتأسس على سُنَّة الاختلاف الفعّال، والتعدد الحقيقي، والتنوع الواقعي، والتعايش الجامع لسفينة الأرض، ضمن حوار حقيقي وفعّال. وحجية الرؤية الإسلامية مرهونة –على أرض الواقع– بقدرات المسلمين على عرضها، والتأكيد على فعلها وفاعليتها، وألا يصير عالم المسلمين عبئًا على إسلامهم. عليهم أن يعرفوا للواجب، حقه من الواقع، وللواقع حقه من الواجب كما يشير إلى ذلك الإمام ابن القيم في مقولة ذهبية.

وللحضور الفعَّال في عالم الشهادة سُنن تستهدف تحريكَ فاعليات المرأة وقدراتها، واستثمارَ مساحات الحركة والفاعلية وتعظيمها، وضروراتِ الاجتهاد الجديد والمتجدد الواعي بالتغير والتغيير الحادث في الواقع بسرعة وكثافة، ودواعي وقدرات الإصلاح لواقع المرأة المسلمة، وتأسيسَ ذلك في سياق رؤية كله للعالم، ورؤيةً استراتيجية قادرة على تحقيق شروط الشهادة في الداخل، وفاعليةَ القيام بها على العالمين، بما يحشد التأييد وإمكانات التفعيل للمنظور الحضاري للمرأة، تخرج به من إسار حركة عالم المسلمين التي تخلفت عن استثمار فاعليات المرأة مما أعان الآخرين على تشويه الصورة وصناعتها على غير حقيقتها، بل وتشويه الإسلام ذاته غمزًا ولمزًا وتصريحًا وتلميحًا، وتخرج به على صورة المرأة المرغوبة عوليًا في إطار "تفكيك المرأة" كمقدمة "لتفكيك الأمة". وكما أشرنا آنفًا: إن بين "الأم" والأمة" تعلقًا لا يمكن إغفاله وجذرًا لغويًا واحدًا يؤسس لعلاقات الوصل لا الفصل. وتؤصل –ضمن ذلك– عناصر من الناحية البحثية والواقعية، غُيبّت أو غابت مثل "الأسرة كوحدة تحليل"، و"المرأة في سياق الأمة": منها وفيها ولها.

هذا الحضور الفعّال يجد شروطه في ضرورة التفكير بتناول قضايانا وتحدياتنا الكبرى على مستوى عالم الإجراءات التي يتعامل معها على الأرض وفي الواقع المعيش، فإن كلامًا بلا عمل ليس إلا تمرينًا للحناجر الصوتية، ومن المهم أن نتعرف ونتدبرَّ قول النبي عليه الصلاة والسلام "وإن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل"– متفق عليه.
بين العمل الدائم وإن قل حجمًا، تتولد قدرات الفعل النوعي وفاعلياته، وتتأسس حقائق العمل الصالح الموصول بالقول الثابت، والقصد إلى ما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

ومن هنا تبدو ضرورة استعراض عمليات ذلك على الأرض، في صورة مقذنة تحرك، أنماط تفكير، وأنماط سلوك، وإرادة أن يرد الفرع إلى الأصل في وصل تلك المواد التفصيلية والإجرائية إلى أصولها وكلياتها، (الرؤية الكلية للعالم)، فيكون النقد لها محكمًا ومؤصلاً.

وقد آن الآوان أن نؤصل عناصر مواجهة لتحدي المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية:

- الوعي بالاتجاه العولمي التنميطي للمرأة.
- تفكيك المرأة في عالم المسلمين مقدمة لتفكيك الأمة.
- طمس فاعليات المرأة وهدر طاقاتها وإمكاناتها.
- الجوانب المعرفية المفتعلة والموروثة في قضية المرأة.
- رحابة الرؤية الإسلامية للمرأة من منظور حضاري، بحيث لا يقف الأمر عند حد استدعاء الحكم الفقهي، بل قددرة أن تسكن القضية ضمن منظور لأصول الفقه الحضاري يتمتع بالرؤية الاستشراقية والاستراتيجية.
- ربط الوسائل بالمقاصد في قضية المرأة.
- حضور المؤتمرات الدولية لتحقيق معنى الشهود يعرض أصول الرؤية الإسلامية للمرأة وغير المرأة، والإشارة إلى خطورة ما يراد بسفينة الأرض، وجوهر العمران للمعمورة.

– تشكيل طاقات الأمة البحثية في خدمة التعامل الإجرائي مع قضايا التحدي في عالم المسلمين، وعلى رأسها قضية المرأة:

* فهم عناصر التبعات القانونية.

* الوعي بمآلات الاتفاقيات.

* القدرة على التمكين للرؤية الإسلامية وحسن عرضها، واستخدام كافة الوسائل الاتصالية والمعلوماتية المتاحة للتمكين لتلك الرؤية الحضارية الاستشرافية الاستراتيجية، مع تخطيط برنامج إجرائي لإحداث التأثير والتفعيل والتمكين.

* التعاون مع كل الهيئات والمنظمات الدولية غير الحكومية والأهلية، والتي تتبنىَّ منظورًا قيميًا وأخلاقيًا فعّالاً في قضية المرأة وغيرها من قضايا.

* الاهتمام بترجمة رؤية الإسلام للمرأة إلى عمليات تربوية وإجرائية بما يحقق التأثير والفاعلية على أرض الواقع.

إنها عناصر بأجندة حالّة وضرورية من الواجب العمل فيها ولها، بكل عمق بحثي، وكل عمل نافع يمكث في الأرض، وهذا كله يتطلب تأسيس قاعدة معلوماتية عن أحوال المرأة المسلمة، والمواثيق العولمية في مجال المرأة وغيرها، وكل ما يعين في بناء رؤية استراتيجية حضارية استشراقية مشفوعا بخطة إجرائية وعمل على الأرض.

إن تمكين المرأة عبر تمكين الأسرة عملية مهمة لاستثمار فاعليات الأمة المتمثلة في هذا الكيان الأصيل.

هذا التمكين احتضنته اللغة العربية لتعبر عن هذا التمكين المكين: أن بين الأمة والأم تعلقًا في جذرهما اللغوي الواحد الذي يفيد ارتباطًا لا ينفصم. يمكننا أن نقول إن تمكين الأمة– الأسرة، لن يكون إلا بتمكين الأم –الأسرة.

أما الداعي السادس– فإنه ينتقل بنا إلى حال دراسات الأسرة والبحوث المتعلقة بها، غاية أمر معظم هذه البحوث أن تتناول الأسرة (قضايا وعلاقات) تناولاً شكليًا وبرانيا، لا تناولاً يتحرك صوب جوهر التكوين والكيان الأسري. غاية أمر هذه الدراسات أن ترى الأسرة على غرار ما يراها الفكر الغربي حتى وهو يتناول الأسرة بمفهومها التقليدي، لا نتحدث هنا عن اغتصاب التطبيق بصدد مفهوم الأسرة وتشويه أشكاله وأنماطه، وإنما نتحدث عن محاولات تحنيط الأسرة لدراستها ودراسة مفاهيم مثل الحضوبة والكثافة، أو قضايا تتعلق بأجندة وموضوعات علم الاجتماع العائلي، الذي يقوم على دراسة قضايا ذات طبيعة شكلية.

وكذلك سنرى مع سيادة النزعة الوضعية –الإمبريقية والدراسات الكمية، فمعظم البحوث الأكاديمية بحوث التقليد (جحر الضَّبَّ)، يقوم بها شباب الباحثين من ذوي الخبرة المحدودة، والذين لا يسمح وقتهم بالقراءات الواسعة، وهم يسعون إلى تجنب الأخطاء وتحقيق أعلى درجة من الاحتراف الأكاديمي في الوقت ذاته، وهذا يتطلب اختيار موضوعات للبحث محددة تحديدًا ضيقًا، وأن يكون البحث في إطار تخصص الأستاذ، وهنا يبدو أن الأهم بالنسبة إليهم هو ألا يتعرضوا للنقد على حساب ما يمكن أن يتوصلوا إليه من نتائج مثمرة. ويميل البحث التطبيقي أيضًا إلى أن يكون ضيق النطاق بحيث ينصب على ما يظهر من مشكلات وقتية، وهكذا جاءت نتائج هذه البحوث دون المستوى الذي يمكن أن يُسهم في تحقيق بناء متماسك من المعرفة.

وتبدو بعض المناهج الجاهزة محل غرام الباحثين؛ إذ يستخدمونها إما كحلية منهجية أو كتعويذة بحثية دون حرص على تفعيل الأصول المنهجية اللائقة والمناسبة: "اللياقة المنهجية".

أما الداعي السابع– فإنه ينصرف إلى التناول الإسلامي للأسرة وقضاياها، إذ يتراوح بين التناول الفقهي المحض، أو التناول الوعظي الذي لا ينفذ إلى عمق الكيان الأسري وعلاقاته، إنه انفصام نَكِد بين العلوم الشرعية وعلوم الاجتماع والنفس والتربية والسياسة وغيرها من العلوم. إن تحريك الدراسات الفقهية إلى النطاق التربوي وتحريك الأصول التربوية

إلى المجال الفقهي، عملية إذا ما أُحسن تطبيقها وتفعيلها وتشغيلها لَحَرِيَّةٌ أن تُحدِث أنماطًا من البحوث والتفكير يمكن أن تشكل رؤية متجددة لقضايا قديمة لم يعد يحسُن فيها الاجترار.

الثامن– ومن أهم الدواعي كذلك في مقام تجديد البحث بموضوع الأسرة ما يتعلق بالبعد المنهاجي التحليلي، وهو ما يشير إلى اللياقة المنهجية للمدخل السفني للبحث في موضوعات وقضايا الأسرة. هذا المدخل يأبى أن يجعل من "المرأة" وحدة تحليل منعزلة مستقلة، أو متمركزة حول الأنثى، فذة قائمة بذاتها، وهو أمر يجعل من "الأسرة" وحدة تحليل أساسية مقترحة في هذا المقام، وهي الأولى بالرعاية، وهذا أمر يشير إلى أن ثمة فارقًا بين المرأة كوحدة تحليل في المنظورات الغربية، وبين الأسرة الجامعة لوحدات تحليل فرعية (المرأة – الرجل – الأبناء – الرحم ...إلخ).

إلا أن ذلك لا يُعد –من جانب آخر– مصادرة لحال المرأة في واقع مجتمعات المسلمين وتراجع حقوقها، والجور عليها عرفًا وعاداتٍ وتطبيقات، هذه القابليات التي قد تُستغل من بعض أطروحات تجد أصولها في الكتابات الغربية والاستشراقية في تشييع رؤية لقطع المرأة عن محضنها ومجتمعها ومجالها الحيوي (الأسرة)، تارة بدعوى فرادنية وحدات التحليل، وتارة أخرى بالحديث عن المؤسسات التقليدية؛ ومنها الأسرة، كعبءٍ على عمليات التنمية، أو أنها من المنظمات الإرثية التي لا تدخل في سياق الفاعليات الاجتماعية والسياسية.

الأسرة كوحدة تحليل ضامة لا تجعل المرأة مقطوعة عن مجتمعها ومجالها الحيوي، ولا ممنوعة من فاعليتها ودورها الحيوي أيضًا. فالمجتمع –في المبتدإ– نسيج حيوي، خلاياه الحية هي "الأُسر"، لا النساء وحدهن، ولا الرجال وحدهم، ولا حتى الأطفال وحدهم، والأسرة –بهذا الاعتبار– وحدة بناء المجتمع الأساسية والصغرى التي لا يجوز انشطارها؛ لأن في انشطارها انفجارًا مؤذيًا وتشويهًا مُضرًّا. وكثير من المفاهيم لا يمكن استيعابها إلا في ظل الأسرة، بحيث تستدعيها وتحركها ضمن منظومة لفهم "الأسرة– السفينة"؛ كمفهوم القوامة، ومفاهيم السكن والمودة والرحمة، ومفاهيم المشاركة والدور، والفعل والفعالية ومفاهيم المعروف والإحسان والعدل والفضل، ومفاهيم الرعاية: (ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته) —الحديث: متفق عليه، ومفاهيم المسئولية، والشورى الأسرية والتربية والإصلاح والرحم، ... وغير ذلك كثير.

في سياق هذه الرؤية يمكن النظر إلى عالم المفاهيم والاستعارات المجازية إنها في الواقع مفاهيم —أسرة، وأسرة —مفاهيم، تتسم بكونها تعبيرًا عن منظومة مترابطة، متلاقحة متلاحقة، متساندة متوالدة.

عالم وحدات التحليل إذن ليس بعيدًا عن إشكالية المفاهيم والنظر إليها، إن وحدات التحليل يجب ألا تتحول إلى وحدات "تحلل" أو "إحلال"، وألا تتخذ مفهوم التحليل وتقف عند نهاياته في إطار عمليات تفكيك برزت ضمن حركات حداثية وما بعد حداثية، اتخذت من "فضاء المرأة" مجالاً تعبث به وفيه ما شاءت، وتحت دعاوى شتى كلها تصب في مقولة: "هذا موضعي من السفينة أفعل فيه وبه ما أشاء"– الحديث.

عمليات التفكيك كما أشرنا تطال:

1– عمليات التكوين والكيان الأسري وسنة التزاوج وفطرية.

2– عمليات الأدوار والوظائف والمنطق الصراعي بين أدوار الرجال وأدوار المرأة ضمن عمليات لا نرى إلا الاقتراب من هذه الظاهرة ضمن عمليات التنافي مع انتشار الفاظ مثل "المجتمع الأبوي"، "الثقافة الذكورية"، و"المجتمع الذكوري"، "تمكين المرأة" ...إلخ.

ضمن هذا الموقف الذي يتحرك ضمن هيمنة رجالية، فإن الأمر لا يمكن مواجهته إلا ضمن هيمنة نسوية. إن نطاق العلاقات الأسرية الذي يشير إلى قيم مخصوصة: "السكنِ" المفضي إلى النشاط والفاعلية، والودَّ المفضي إلى

الحميمية والتكاملية، والرحمة والتراحم المؤديْن إلى التماسك ضمن علاقات "الفضل" الزائدة عن "العدل": (وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ...) سورة البقرة: آية 237.

3- إن الأنثوية سواء أكانت حداثية أو ما بعد–حداثية قد تعكف على عمليات التفكيك المؤدية إلى الحالة العبثية والعدمية في التصور والتحليل، وليست عمليات تحلل من مفاهيم مركزية قاعدية "التزاوج، الأسرة، الرحم، الأبوة، الأمومة، البنوة ..."، كل ذلك في إطار علاقة عقدية تأسيسها ليس إلا "ميثاقًا غليظًا"، على ما في ذلك من عمليات مهمة ومحددات واضحة، وتكوينات ذات أدوار متكافئة ومتكاملة، كما أنها ليست عمليات إحلال لكل ما يؤدي إلى التمركز حول الأنثى وإنتاج وحدات إحلال لا تحليل في هذا الفضاء المعرفي والبحثي.

في عالم المفاهيم كانت المجازات والاستعارات تشير إلى معانٍ أعمق من "النظام" أو "التنظيم"، التي تحركت في المجال الاجتماعي والسياسي للدلالة على العلاقات القوية بين العناصر، وعمليات الترتيب والتراتب.

كانت الاستعارات والاستخدامات المجازية تشير إلى التعبيرات المتعلقة بالارتباط الشديد بين المفاهيم، تتمثل في "العائلة المفاهيمية" أو "أسرة المفاهيم"، ويبدو أن هذه الاستعارة كانت تشير ضمن ما تشير إليه إلى:

معنى السكن المفاهيمي، المفاهيم القارَّة الساكنة؛ تمهيدًا لتفعيلها وتحريكها وتشغيلها: سكون النشاط، وإقلاع الفاعلية، يعبر عن حالة يتضمنها مفهوم "السكن الفاعل".

الود المفاهيمي، إشارة إلى العلاقات المفاهيمية الحميمة، إشارة إلى حال الاتصال المفضي إلى حركة خصوبة وفاعلية، تعني التوالد المفاهيمي والتكاثر المفضي إلى حال من التساند المفاهيمي والمفاهيم المتكاملة التي تقوي بعضها بعضًا.

والرحم المفاهيمي، بما يشير إلى عمليات تراحم مستمرة تؤدي إلى الوصل والاتصال والتواصل، الرحم الحاضن في عالم المفاهيم، الذي يحمل الأجنة المفاهيمية تتغذى من حبلها السُّري فتكون سببًا لحياته الأولى، والرحم المنتشر في عالم المفاهيم الذي قد يتحرك من الأسرة إلى دوائر أبعد تشكل أهل قرابة المفهوم من عُصبته، هذا الوصل المفاهيمي ... (الرحم اشتققتُ لها اسمًا من اسمى، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته) –البخاري وأحمد.

إنها حالة تراحمية عامة يتقوى به الكيان المفاهيمي ويحفظ ما فيه ويحفز فعالياته ويقوي فاعلياته ضمن عناصر الأسرة المفاهيمية وضمن هذا التصور يجب أن تنطلق إلى مفاهيم الأسرة، لا مفاهيم فردية وانفرادية قاصدة إلى القطع والمنع (مفاهيم القطع والمنع)، كأنها عمليات تعقيم (من العُقْم) أو استئصال الرحم؛ لمنعه من وظيفته في بقاء النوع وحفظ الكيان.

أما الداعي التاسع والأخير- فيشير إلى واحدة من الطالبات عند الدراسة قد أثارت قضية الأسرة -لغة واصطلاحًا بأنها لم ترد في القرآن أو السُّنة، بينما أن اللفظ الذي وَرَدَ كان "الأهل"، وأن الأسرة من جِذْر ثلاثي "أَسَر"، ورغم إشارات معجمية حول أن "أُسرة" الرجل أهله ورهطه، كما تشير الكلمة إلى معاني "القوة" ضمن هذه المعاني، فَهِمَ البعضُ خطئًا مشابهةً بين الأَسْر والعبودية. ومن هنا تبدو الاستخدامات -حتى في معنى الأسر- تعبر عن حُسن المعشر وطيب الخُلُق؛ وهي تعني الجميع أو المجموع، مثل: جاء القوم بأَسْرهم، وأُسْرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقَّوى بهم.... والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته.

ومن هنا فإن بروز كلمة "الأُسرة" مرة أخرى بعد شيوع كلمة "الأهل" و"العشيرة"، قد يجد له ما يسوغه في السَّعة الدلالية في اللغة.

ومن المهم أن نفهم معاني الأسرة فضلاً عن المعاني السابقة ضمن عملية أسرة الكلمات والرحم فيما بينهما، ضمن كلمات (الرحم، والأهل)، ذلك أن مفهوم "الأهل" يطرح ويستدعي مفاهيمَ ومعانيَ أخرى، مثل:

الأهلية، والتي تعني عبارة عن صلاحية لوجوب الحقوق المشروعة له أو عليه، كما ورد في (التعريفات) للجرجاني، والتأهُّل بما يفيد أن الأسرة مجالاً ومزرعة لإنبات ورعاية ومسار ارتقاء. والتأهيل، بالرعاية والحفظ والنصح، كما توحي بمضامين الاستقرار والسكن واللبوث: (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) سورة طه: آية41، والصلاح: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) سورة هود: آية 46، والأجدر والأولى والأحق: (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) سورة المدثر: آية 56، ضمن هذه الدواعي المختلفة التي فصَّلنا في بعضها، وأشرنا إلى بعضها، تأتي هذه الدراسة حول تلك المعاني والدواعي التي يمكن أن تشكل حجية إضافية للقيام بهذا البحث وفق مدخل الأسرة –السفنية.

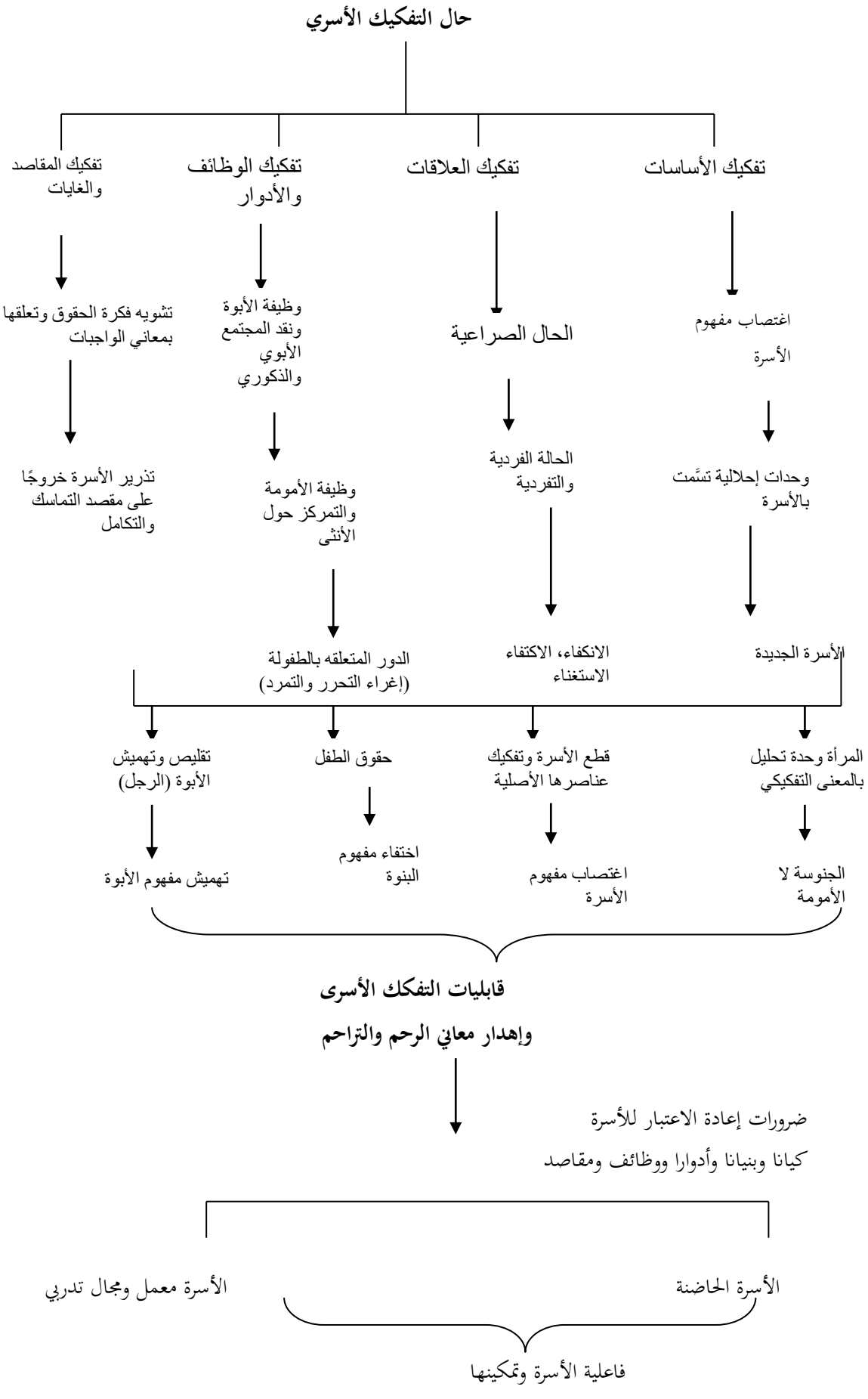
حال التفكيك الأسري
تفكيك الأساسات
تفكيك العلاقات
تفكيك الوظائف والأدوار
تفكيك المقاصد والغايات
اغتصاب مفهوم الأسرة
الحال الصراعية
وظيفة الأبوة ونقد المجتمع الأبوي والذكوري
تشويه فكرة الحقوق وتعلقها بمعاني الواجبات
وحدات إحلالية تسَّمت بالأسرة
الحالة الفردية والتفردية
وظيفة الأمومة والتمركز حول الأنثى
تذرير الأسرة خروجًا على مقصد التماسك والتكامل
الأسرة الجديدة
الانكفاء، الاكتفاء الاستغناء
الدور المتعلقه بالطفولة (إغراء التحرر والتمرد)
المرأة وحدة تحليل بالمعنى التفكيكي
قطع الأسرة وتفكيك عناصرها الأصلية
حقوق الطفل
تقليص وتهميش الأبوة (الرجل)
الجنوسة لا الأمومة
اغتصاب مفهوم الأسرة
اختفاء مفهوم البنوة
تهميش مفهوم الأبوة
قابليات التفكك الأسرى
وإهدار معاني الرحم والتراحم
ضرورات إعادة الاعتبار للأسرة
كيانا وبنيانا وأدوارا ووظائف ومقاصد
الأسرة الحاضنة
الأسرة معمل ومجال تدربي
فاعلية الأسرة وتمكينها

المدخل السفني: نحو تأصيل ثقافة السفينة:رؤية مجتمعية للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

يأتي هذا المدخل على قاعدتين مهمتين، من الممكن أن تفيدا في مسارات البحث، ضمن موضوعات وقضايا يمكن أن تثور في حقول معرفية عدة، على رأسها الاجتماع والسياسة والتربية.

القاعدة الأولى– أن الحديث النبوي بما يمثله من "جوامع الكلم" يمكن أن يشكّل مصدرًا مهمًا للمعرفة والقدرة على صياغة مؤشراتها ومؤثراتها، في تناول كثير من قضايا العلم الإنساني والاجتماعي، وهو أمر سبق تجريبه من خلال جهد بحثي سابق، ويشكل هذا البحث مواصلة واستمرارًا له.

القاعدة الثانية– أن تأسيس رؤى منهجية على قاعدة من فكرة "المثل" وتفعيلها إنما تشكل واحدة من أهم الأدوات المنهجية المهمة، وهذا التعامل ليس "بدعًا" أو "خروجًا" على النشاط المنهجي للجماعة العلمية في حقول معرفية متنوعة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إن فكرة "**البناء والوظيفة**" التي حملت مدخلاً مهمًا تفاعلت معه كثير من الدراسات، كان في واحد من استناداته ليس إلا استعارة من علوم البيولوجيا وعلوم وظائف الأعضاء. وإن فكرة "**النظام**" لم تكن إلا تأسيسًا على قاعدة من علوم الآلة ودراسة الميكانيكا. هذا **الارتحال الفكري والعلمي** من الأمور المهمة التي أنتجت بدورها ممارسات بحثية لا يمكن لأحد في سياقات الجماعة العلمية أن ينكر أهميتها، فضلاً عن إنكار تأثيراتها في ارتقاء البحث، على الرغم مما طال هذه المداخل المنهاجية من نقد أو تحفّظ هنا أو هناك.

من خلال هاتين القاعدتين (إحداهما معرفية والأخرى منهجية) ربما نصل إلى **قاعدة ثالثة** تنصرف إلى عملية تطبيق، تهدف إلى استخراج الصَّيغة من أصول الصَّبغة، والصياغة من رحم الصيغة، والتطبيق الذي يتجلى في إمكانات التوظيف والتفعيل والتشغيل ضمن قضايا بعينها.

المثل النبوي: بين وظيفة الرسالة وتوظيف الأمثال:

قد لا يكون من المناسب في هذا المقام البحث تفصيلاً في هذا المجال، فلهذا شأن آخر ومجال أرحب فيما لو أردنا الحديث عن هذا الموضوع.

إن موضوع الأمثال يكتسب أهمية من حيث ذيوع مادته وانتشارها وامتزاجها الشديد بلغتهم [لغة الناس] وارتباطها بمختلف جوانب حياتهم؛ إذ إن الأمثال تمثل رصيدًا حضاريًا هائلاً لكل شعب من الشعوب، ويتأكد ذلك بالنسبة لأمثال الحديث النبوي الشريف، لحاجة المسلمين إلى معرفتها وإقبالهم عليها، وهي من جملة وظيفة الرسالة في البشارة والنذارة والدعوة والبلاغ والأثر المتمثل في استنارة حياة الناس في معاشهم والقضايا المرتبطة به: (السراج المنير). وكل هذه الوظائف هي من جملة متطلبات الشهود الحضاري الواجب الاضطلاع به والوقوف عليه.

ويطول بنا المقام لو تتبعنا توظيف الأمثال خاصة ما ارتبط بها من أحاديث نبوية، فالأمثال في كل أمة خلاصة تجاربها ومحصول خبرتها، وقواعدها المكنونة وصيغتها المقبولة، وإذا كانت سائر أمثال الناس بهذه المثابة، فلا غرابة في أن تكون أمثال الرسول (صلى الله علية وسلم)، أكثر أهمية، وأبلغ حكمة، وأنصع بيانًا، وأكرم معنى.

* والمثل بهذا الاعتبار مجمل المعنى ومفعم بالمعاني الكثيفة، وهو على ما قال شوقي –أمير البيان العربي– واصفًا جوامع كَلِم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكَثُرَ عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونزُه عن التكلُّف ... ، ومن ثم هو ميراث الحكمة، المقترن بالقبول الجامع بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، من استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، وهو –من حيث توظيفه– الأعم نفعًا، والأعدل وزنًا، والأحسن موقعًا، والأسهل مخرجًا، والأفصح معنىً، والأبين مغذًى.

* والمثل في معانيه اللغوية قد يعين على تصور معنى "الصيغة" فيه؛ أي النموذج، والتي اشتهرت عند علماء نظريات المعرفة بمعاني "Paradigm" أي النموذج، فالمِثَل في اللغة ما يُضرب من الأمثال، وهو من المماثلة والمشابهة، ومثَّل الشيء بالشيء سواه به ... وجعله مثله وعلى مثاله ومنواله: (الصيغة) (القاعدة)، والمثال وضع الشيء ليحتذى به.

وللمثل معان أخرى متقاربة نص عليها اللغويون والمفسرون منها: الشبه، والنظير، والحجة، والآية، والعبرة، والعظة، والقضية ذات الشأن ... إلى غير ذلك من معانٍ.

ومن هنا نقل الميداني في (مجمع الأمثال) في مقدمة للنظَّام حيث قال: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع لغيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة ..". فالمثل –في إيماءة للجاحظ– هو المثال الذي يحذى عليه، ويقاس به، وينسب إليه. وعلى هذا فالمثَل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه.

وها هو الحكيم الترمذي يتوقف عند معنى "المثال" في الأمثال حيث قال: (الأمثال: نموذجات في الحكمة، لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهتدي النفوس بما أدركت عيانًا).

وهذا من ألطف ما قيل في هذا الباب وأجمع، مفصلاً عن حديثه عن "النموذج"، فإنه يحدد وظائف الأمثال اجتماعيًا وتربويًا، "فالأمثال عنده بمثابة وسائل الإيضاح، في عصرنا الحاضر، تمكن النفوس مما خامرتها الحيرة فيه، من أمور خفية، وترسخ الأفكار في الأذهان، فالأمثال نماذج حسية لأمور معنوية".

وها هو الفارابي يحرك أصول التوظيف الحياتي للمثل وأثره: (المثل ما ترضاه العامة والخاصة، في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القضية، وتفرجوا به عن الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير بالغ المدى في النفاسة).

ويفيدنا المرزوقي أن المثل "... جملة من القول، مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها ..."

وكأن لسان حال المرزوقي يستنفر الباحثين في تجليات وتطبيقات المثل كأداة مهمة حينما يقرر "... فتنتقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها ..."

وللبلاغيين مدخل في هذا الباب يطول بنا المقام لو تقصينا بعضا من أقوالهم وتنوع توجهاتهم.

*** غاية القول بنا في هذا المقام أن نشير إلى مجاميع الأمثال كما أشارت إليها العرب:**

أ– الأقوال الموجزة السائرة، المتصلة بمناسبة من المناسبات.

ب– الحِكَم السائرة أو القائم في العقول، والقصص ذات المغزى الأخلاقي.

ج– التشبيهات التمثيلية (التصويرية).

د– عبارات كثُرت مناسباتها، فكثر تِرْدادها، حتى صارت على ألسن الناس.

فمن هذا البيان الذي أردناه إجمالاً في هذا الباب، فإن القصد النبوي بضرب الأمثلة لم يكن إلا تعليمًا وتربية بطرائق متنوعة ومتعددة، قاصدة بذلك تحقيق مهمات الرسالة على أكمل وأبين وجه، ضمن رسائل اتصالية فاعلة تحرك الأفهام، وتؤصل للمعنى المفضي إلى المغزى، وتؤسس للوعي والسعي.

معطيات النموذج والمدخل السفني: محاولة للفهم:

إذا كان هذا هو المثل طبيعة وتوظيفًا، فماذا عن مَثَلِ "**السفينة**" الذي تضمنه حديث السفينة للنبي (عليه الصلاة والسلام)؟.

"مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُواْ عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّواْ عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا خَرْقًا فِي نَصِيبِنَا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا" رواه البخاري.

الحديث إذن –بنصه ومشابهاته ومقاييساته التي تشير إلى جملة من المعطيات والمفاهيم– يكون بحق منظومة رؤية متكاملة وشبكة من المواقف والأحكام والتقييمات لا يمكن التغاضي عنها أو التوقف عن استكناه إمكانات (التأصيل والتفعيل والتشغيل)؛ بلوغًا للمقصود البحثي، فضلاً عن بلوغ الغايات الاجتماعية والتربوية والحضارية، وفي موضوعنا هذا (الأسرة وعمليات التنشئة السياسية والاجتماعية) في مجالي الاجتماع السياسي، والتربية السياسية.

مفردات المثل النبوي ليست مجرد مفردات لغوية مصمتة، ولكنها مجموعة من الكلمات الحية يراد بها التأثير الضارب للمثل (والغرض من ضرب الأمثال)، واختير لفظ "الضرب له"؛ لأنه يأتي عند إرادة التأثير –على ما يقول الإمام محمد عبده– ويهيج الانفعال، كأن ضاربَ المثلِ يقرعُ به أُذن السامع قرعًا، ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه ..."، فهو إثارة فكرة، وبيان وتدبر مغزى، هذا بعض ما أراده الإمام من قوله في ضرب المثل.

وأقول ما قال الرافعي عن البيان النبوي:

".. ثم تركت الكلام النبوي يتكلم في نفسي ويلهمني ما أفصح به عنه، فلكأني به يقول في صفة نفسه: **إني أصنع أمة**. وقد كنت أقرؤه وأنا أتمثله مرسلاً بتلك الفصاحة العالية من فم النبي (صلى الله عليه وسلم) .. يتكلم بكلام إنساني ... وأعجب من ذلك أني كثيرًا، ما أقف عند الحديث الدقيق، أتعرف أسراره، فإذا هو يشرح لي ويهديني بهديه، ثم أحسه كأنما يقول لي ما يقول المعلم لتلميذه: أفهمت؟ ... فهو كلام كلما زِدته فكرًا زادك معنى .. فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت على حَّد وقف، وإن مددت مدَّ، وما أديت به تأدّى ... وليس فيه (مما) يجتلب له منها [أي الألفاظ] ويستكرها على أغراضه [أي الكاتب]... إنما هو كلام قيل لتعبر به المعاني إلى حقائقها ... ليس له إلا قوة قوة أمر نافذ لا يتخلف، وإن له مع ذلك نسقًا هادئًا هدوء اليقين، مبينًا بيان الحكمة ... ليتوجه بها العالم كأنه منه مكان المحور ... ولرأس الدنيا نظام أفكاره الصحيحة".

وحتى لا يصرفنا تحليل الحديث –على أهميته– عن إمكانات تفعيله وتشغيله، فسنحاول أن نوضح معاني الحديث النبوي في مجموعة وشبكة من الأشكال الدالة في هذا المقام، يطول بنا المقام لو أردنا تقصيها تحليلاً وتفسيرًا.

* في **أولها–** نحاول بيان الإمكانات المعرفية والعملية للسُّنة النبوية، بإشارة إلى "**فقه السفينة**"، المستنبط من حديث السفينة.

*وفي **ثانيها–** نرسم خريطة الفهم لمفردات هذا الحديث النبوي وشبكة علاقات الفهم التي يؤديها لنا:

القوم، الاستهام، السفينة، الأدنى والأعلى وحديث الدرجات، المرور الارتفاقي، الحاجات الأساسية (الماء)، التفكير الأخرق والمخروق، قوانين التملك (موضعنا) وقوانين العاقبة، وهم انتفاء الإيذاء والغفلة عن السُّنن: (ولم نؤذ من فوقنا)، ثقافة الخرق والهلاك، وثقافة التنبه والنجاة.

مفردات يؤديها الحديث ضمن شبكة تشير إلى تكافل مدخل السُّنن في تفسير بعض ما يدلي به إلينا حديث السفينة. كما يشير الأمر إلى العمليات الواجبة في التفكير والتدبير والتسيير كعمليات لا يمكن التهاون بها أو التهوين منها. ومن هنا كان من المهم بعد رسم خريطة أفكار الحديث أن نشير إلى مغزى "**الرابطة السفينة**" في شكل ثالث. الرابطة السفينة تشير إلى عمليات الفعل والتفاعل والتفعيل والفاعلية، وتشير كذلك إلى مدخل السنن وكذلك مدخل الحفظ المستمر.

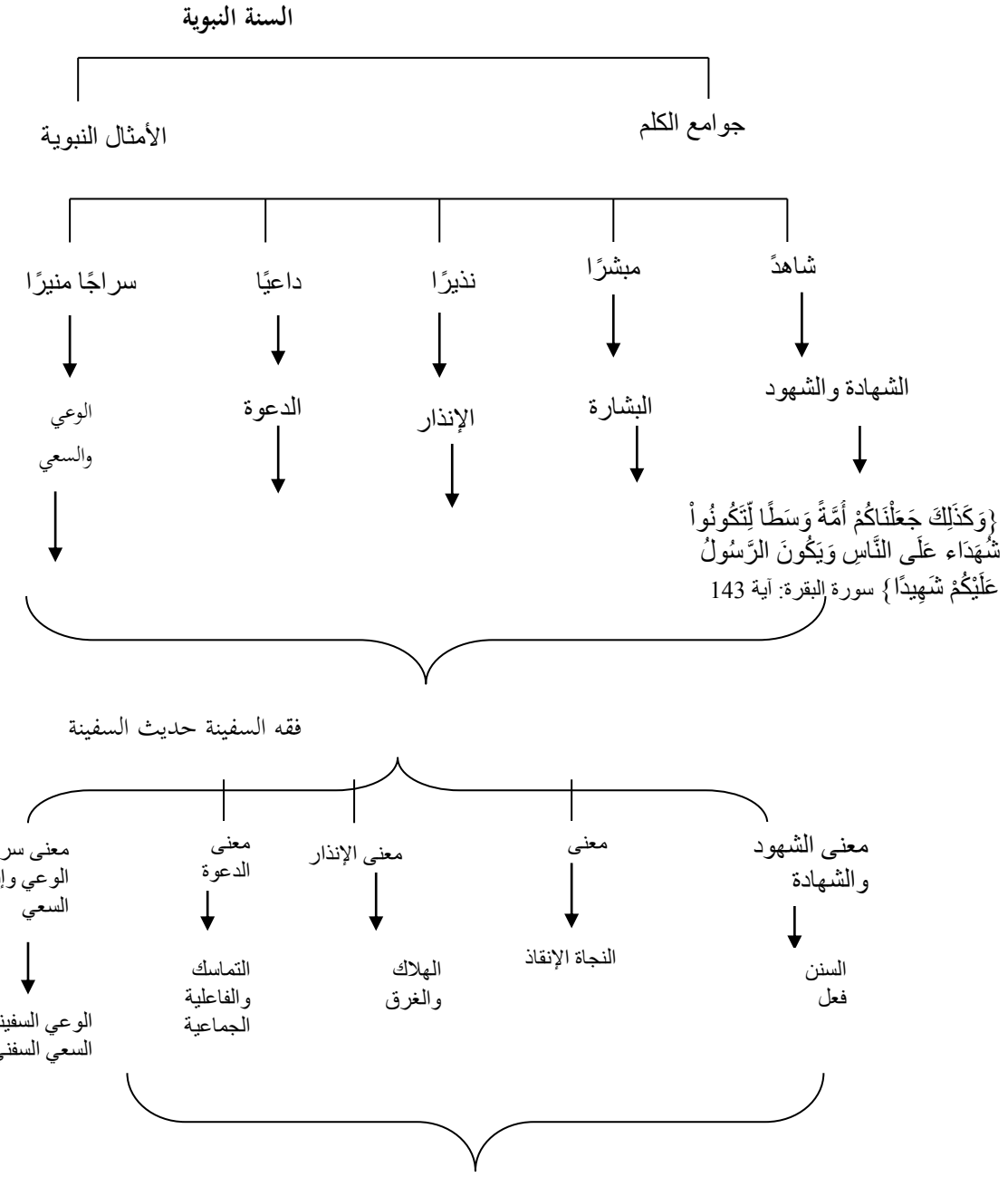

تجديد الأمة وجدل النسيج الاجتماعي ترسيخ ثقافة السفينة

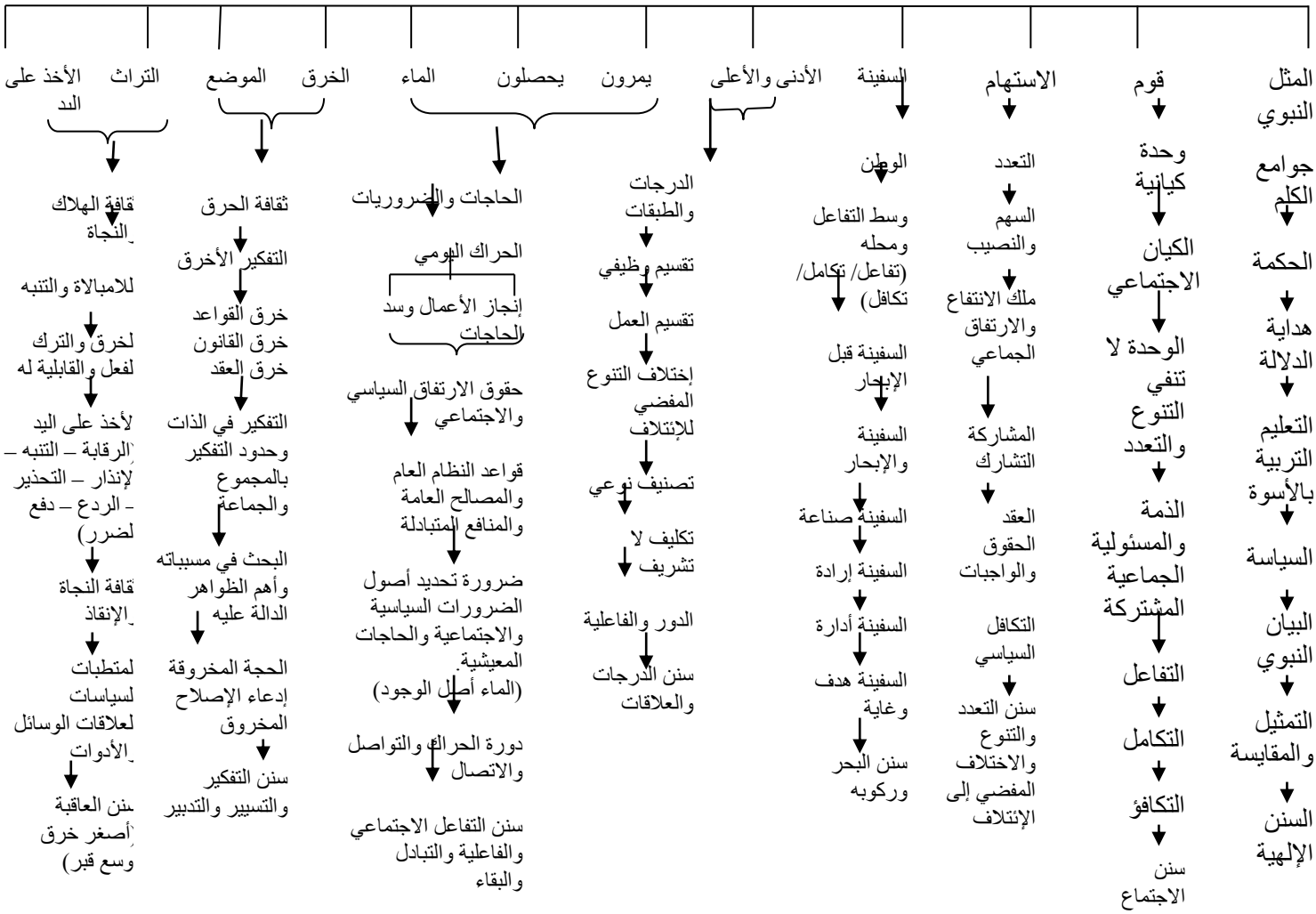

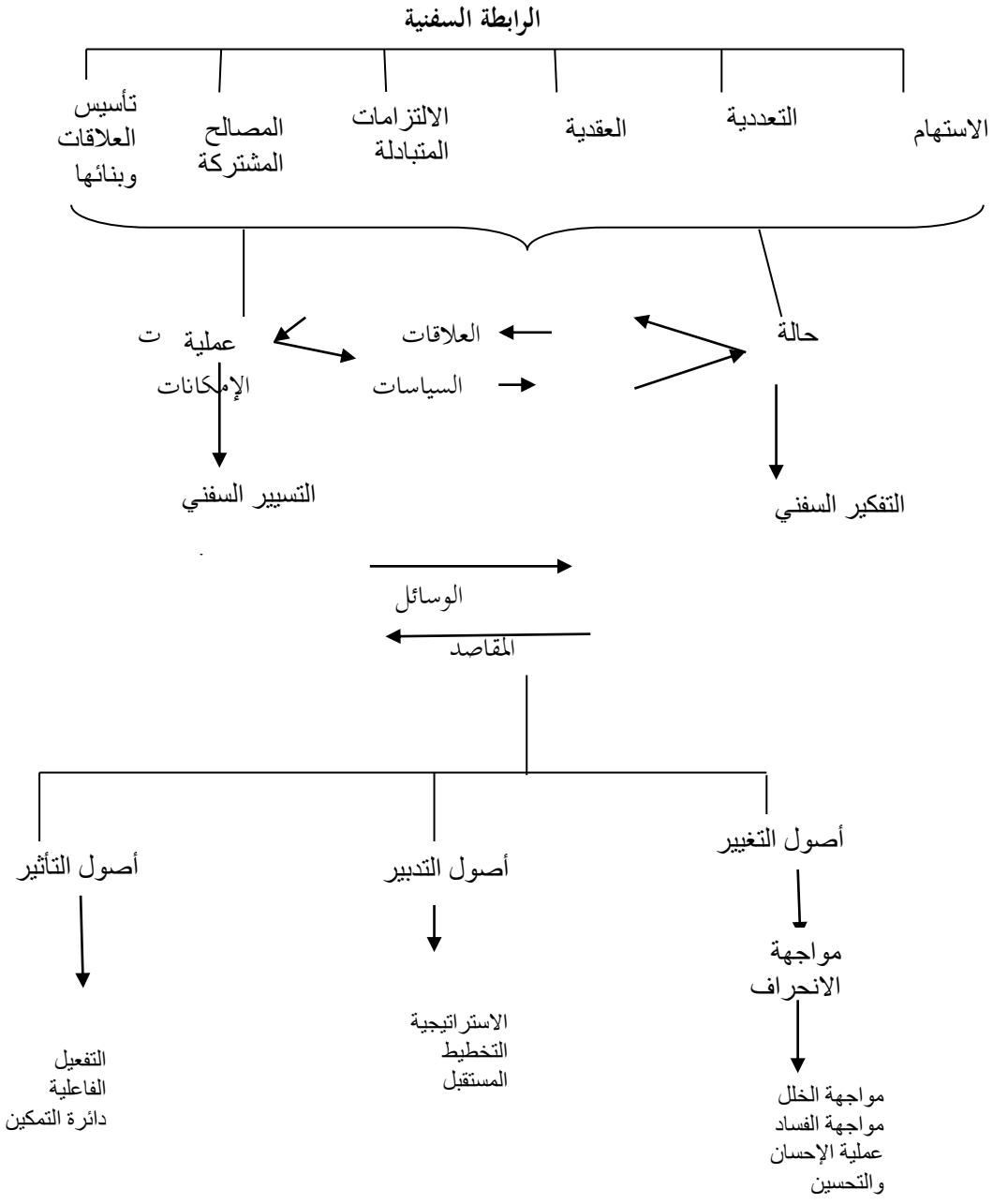
الرابطة السفنية
الاستهام
التعددية
العقدية
الالتزامات المتبادلة
المصالح المشتركة
تأسيس العلاقات وبنائها
حالة
العلاقات
السياسات
عملية ت الإمكانات
التفكير السفني
التسيير السفني
الوسائل
المقاصد
أصول التغيير
أصول التدبير
أصول التأثير
مواجهة الانحراف
الاستراتيجية التخطيط المستقبل
التفعيل الفاعلية دائرة التمكين
مواجهة الخلل مواجهة الفساد عملية الإحسان والتحسين

الفعل والتفاعل والفاعلية

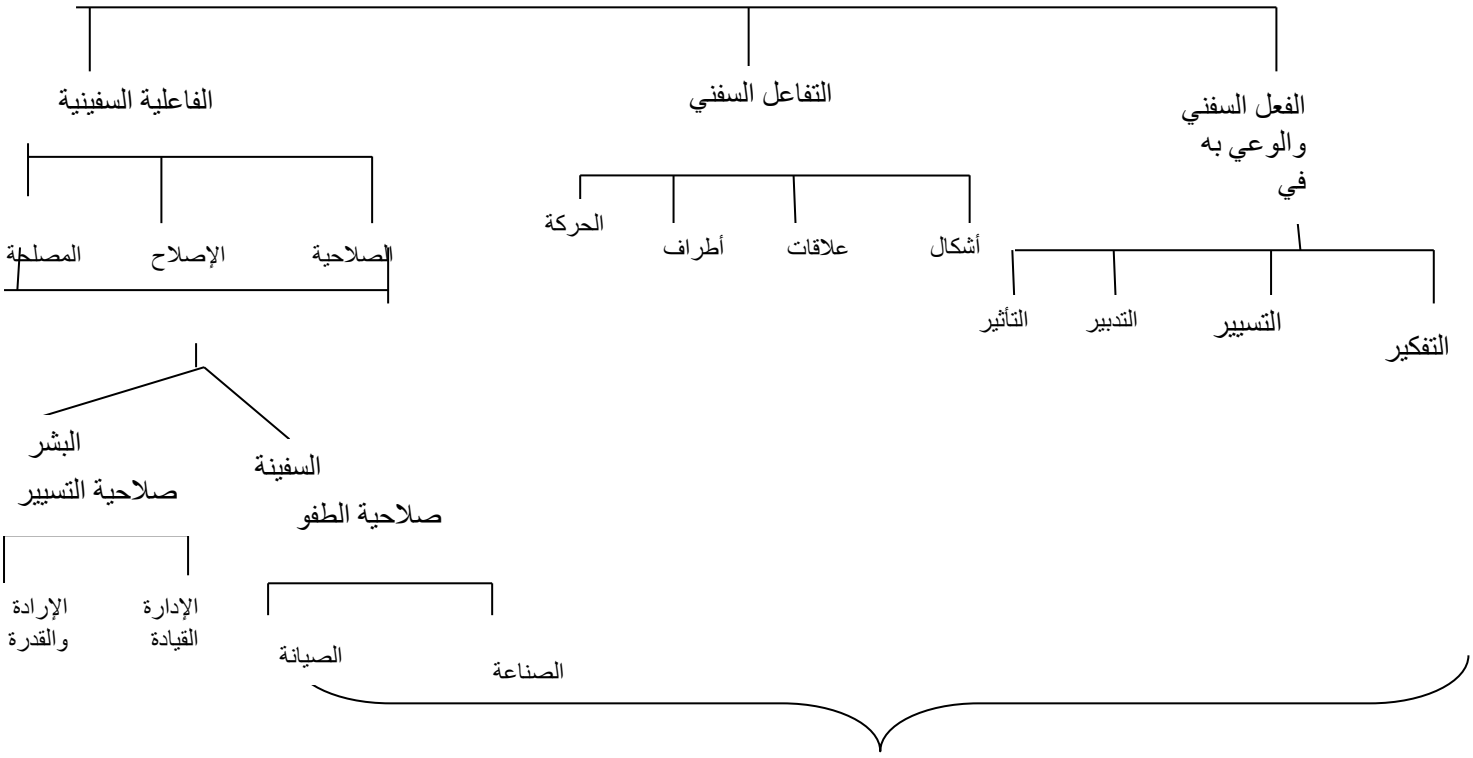

سنن ركوب البحر

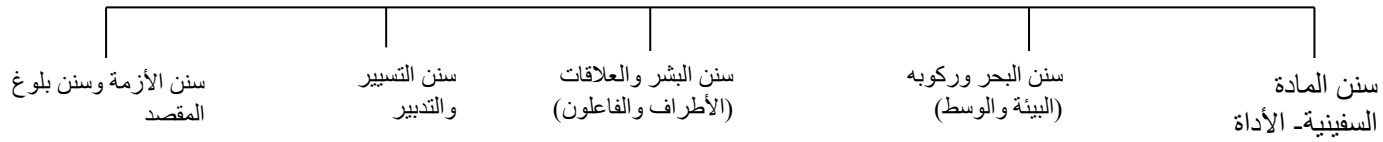

حفظ الابتداء: السفينه صناعة

حفظ البقاء: السفينة صيانة

حفظ الأداء
- السفينة قبل وحال الإبحار
- السفينة إرادة
- السفينة إدارة

حفظ النماء والارتقاء
- السفينة تكامل وتكافل.
- السفينة هدف وغاية ومقاصد.

أما الحلقة الوسيطة بين الفهم وما أداه والسعي ومبتغاه، فإنها تنصرف إلى أمرين:

الأول- يتعلق بتداخل العلوم والأنساق المعرفية "interdisplinary " من بين أهم نقاط الضعف في دراستنا الاجتماعية والإنسانية والتربوية، بل والشرعية التي اتخذت منحى تعليميًا، ذلك التخصص الضيق الذي يؤدي إلى تفتيت الدراسات الإنسانية، وبدت هذه التخصصات "مستوطنات للتخصص"، والحدود بين المعارف أشبه بالحدود على الأرض. إن الإنسان لا يُفهم إلا من حيث كونه إنسانا، وهذا في حد ذاته عمل بالغ التعقيد، أما إذا اتسم مدخلنا للدراسة بضيق نطاقه، فلن نستطيع إلا أن نفهم جزءًا يسيرًا من المسائل البالغة التعقيد. ومن ثم يجب أن يكون هناك تعاون أوثق بين مختلف مداخل الدراسة، وبين مختلف التخصصات أيضًا. إن التخصص أمر ضروري نتيجة للتزايد المستمر في المعرفة .. لكن على العالم أو الباحث المشتغل بذلك أن يفهم وضع دراساته ووظائفها في إطار بناء الدراسات الإنسانية .. فحيثما نكتشف سياقًا معينًا يصبح من الضروري أن نكمل مدخلنا بتتبع سياقات أخرى كذلك. بهذه الطريقة نحقق الاستقامة المنهجية والعدالة في البحث، لما ينطوي عليه تنوع ضروب ودروب الحياة من ثراء، ونكشف عن التداخل بين مختلف فروع العلم، ونتعرف على الطرق المنطقية للتعاون فيما بينها().

والثاني- نموذج السفينة المعرفي: إن صياغة النماذج المعرفية والتي كان الفضل لتوماس كون في كتابه "بنية الثورات العلمية" في الإشارة إليها، إنما تشير إلى " مجموعة متآلفة منسجمة من المعتقدات والقيم والنظريات والقوانين، فضلاً عن الأدوات والتكنيكات والتطبيقات يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين (الجماعة العلمية)، وتمثل تقليدًا بحثيًا كبيرًا، أو طريقة في التفكير والممارسة، ومرشدًا أو دليلاً يقود الباحثين في حقل معرفي ما ..".

النموذج المعرفي ذو تأثير مزدوج؛ إذ له أثر إدراكي معرفي cognitive، وآخر معياري قيمي normative فبالإضافة إلى كونه مجموعة مقولات حول الطبيعة والواقع، فإنه يحدد نطاق المشاكل المباح البحث فيها، ويحدد المناهج المقبولة للاقتراب من هذه المشاكل، ويضع مستوىً للحلول، وتحت تأثيره يُعاد تعريف أصول العلم في الحقل الذي ظهر فيه بصورة ما (ربما جذرية)، تجعل من بعض المشكلات التي اعتبرت في السابق جوهرية وخطيرة، غير ذات معنى .. أو تلحقها بحقول معرفية أخرى. وعلى العكس، قد تتحول قضايا سبق اعتبارها غير موجودة أو فارغة من المعنى إلى قضايا علمية ذات دلالة قوية.

- العنصر المفاهيمي Conceptual element
- العنصر النظري Theoretical element
- قواعد التفسير Rules of Interpretation.
- عنصر تحديد الإشكالات والمعضلات الأجدر بالتناول Puzzling element
- عنصر الرؤية الكلية الوجودية Ontologic – predictive وهي أقرب ما تكون لرؤية العالم world view

خمسة عناصر مهمة تكون شبكة النموذج المعرفي وفاعلياته، وتمثل نموذجًا إرشاديًا في البحث والعمل، في اختيار أجندة البحث وعناصرها. إن النموذج المعرفي السُّفني (الإرشادي) يعد كما هو مقترح Safina paradigm، وإن التوقف عند هذا الأمر (والذي كان الحديث النبوي مادته الأساسية) مهم للغاية إلا أن ذلك لا يمنع بأي حال من النظر إلى الطبيعة الإنسانية التي تحمل رؤية متكاملة للوجود والعالم. يبدو ذلك من ناحية في الاستخدامات المجازية التي تشيع في الكتابات الغربية التي تنظر إلى المنظومة الكونية كوحدة واحدة، فتعبر بذلك عن سفينة الأرض Earth

ship، وتعبر عن كل حال يشير إلى الوطن المشترك والمصير المشترك بالسفينة. كما أن تأمل كلمات اللغة الإنجليزية التي تجعل من خاتمتها مقطع "Ship" ليعبر بذلك عن علاقات مفترضة يشير إليها المقطع Ship إذ يشير إلى علاقات مخصوصة وثيقة سلبية كانت أم إيجابية ، تشير إلى بعض ما نريد أن نؤكد عليه: Relationship & Friendship هذه المعاني فضلاً عن الوظائف التي يؤديها ما يسمى بضرب المثل وأنواعه المختلفة ومقاصده المتنوعة يؤدي بنا إلى أننا أمام نموذج معرفي إرشادي سفني. ..etc

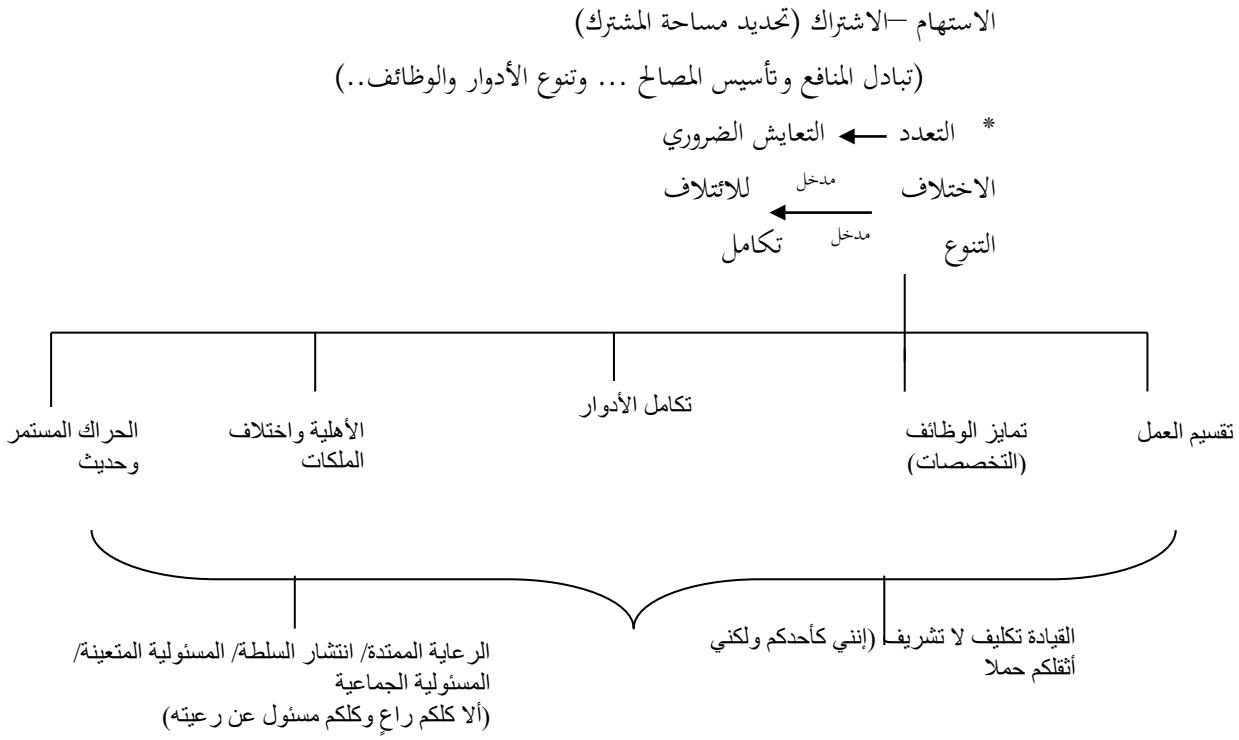

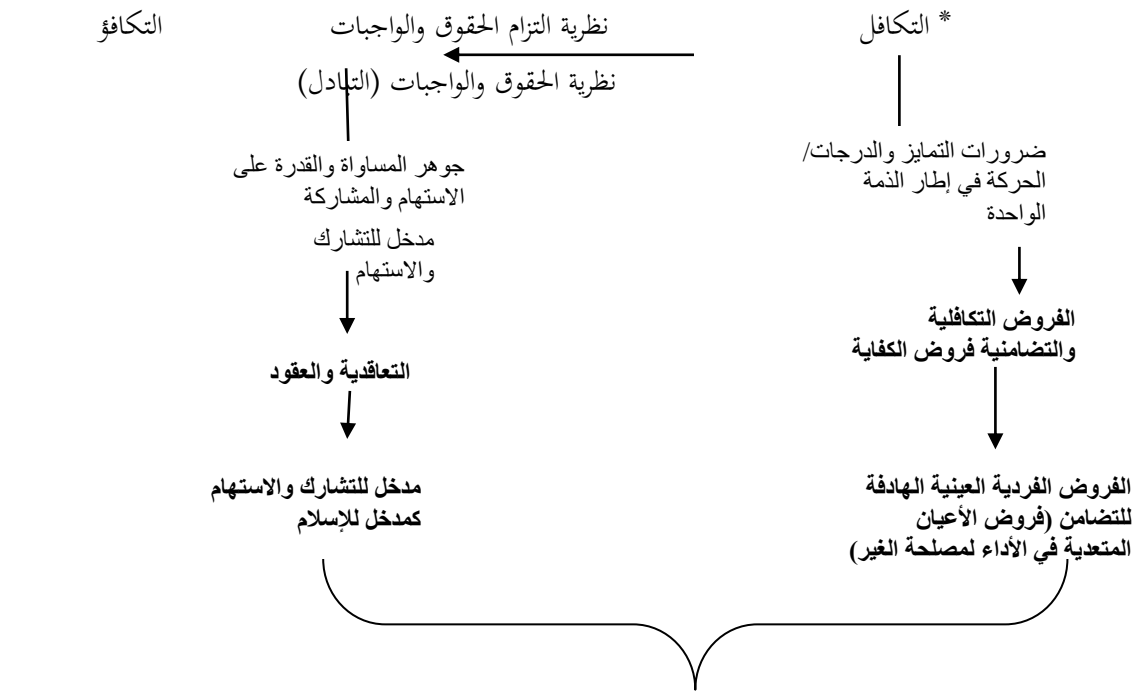

الأمربالمعروف والنهى عن المنكر من الفروض المجتمعية

التكافلية ، التكاملية ، التعاضدية ، التضامنية ، الكفائية

ثقافة السفينة

فقه السفينة

- **فقه الجماعة**
- **فقه المصلحة**
- **فقه الاختلاف**
- **فقه الائتلاف**
- **فقه الدرجات**
- **فقه الضرورات**
  الحرمات
  الحاجات
- **فقه القاصد**
  الكلية العامة
- **فقه الإصلاح**
- **فقه التصالح والمصالحة**
- **فقه الاتصال والتواصل**
- **فقه العقود**
- **فقه الحقوق والواجبات**
- **فقه البوصلة والقبة والاتجاه..**
- **فقه الضرر**
- **فقه الفساد والإفساد**
- **فقه الأزمة والإنقاذ**
- **فقه التعارف**
- **فقه التعايش**

التربية السفينة

- **تربيــة الــوعي الجمــاعي والجمعــي والمجتمعي**
- **التربية على الهوية**
- **التربية الوظيفية**
  - **تقسيم العمل**
  - **التخصص والكفاءة**
  - **توزيع الأدوار**
  - **عمل الفريق**
- **التربية القيادية**
- **التربية التكافلية**
  التعاونية
  التضامنية
  التعاضدية
- **تربية الوعي والسعي**
- **التربية وميلاد المجتمعات (بناء العلاقات وتأسيسها) شبكة العلاقات الاجتماعية وجدل النسيج الاجتماعي)**
- **التربية التبادلية والقدرة على ترسيخ العلاقات وتجذيرها في الواقع (الاستقرار – الاستمرار)**
- **التربية السنينة:**
  التربية النفسية
  التربية الاجتماعية
  التربية التاريخية والتراثية
- **التربية على الحوار بالحوار الشوري التربوية**
- **التربية بالعبرة**

الأنساق المتضمنة في حديث السفينة

والحالات المخروقة في التفكير والتدبير

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

بين أنساق القيم وأنساق السلوك

والعمليات المجتمعية

القوم وحدة كيانية	**التفكير الأناني والفردي– تركيبة الانقسامات والتناحر، الحالة الصراعية**
الاستهام عملية فاعلة	**عدم المشاركة، القعود عن العقود –شكلية المشاركة وزيفها– اللامبالاة**
السفينة قاعدة مكانية	**خصصة الوطن –فقدان الحس العام– العقد الاجتماعي، الانقسام والانفصال**
الأعلى والأسفل	**تعملق مفهوم السلطة –الصراع من أجل السلطة، شبكة**
(شبكة العلاقات..	**العلاقات الاجتماعية بين التمزق والترهل وعدم الفاعلية.**
وحديث الدرجات)	**سيادة علاقات سياسية استبدادية وفرعونية طاغية–علاقات الاستخفاف.**
ثقافة السفينة	**ثقافة الخرق– افتقاد ثقافة الجامعية والدافعية والمصير المشترك.**
ثقافة النجاة	**ثقافة الهلاك في أنماط التفكير والتدبير والتسيير والتغيير.**
ثقافة الحوار	**أمراض الظاهرة الحوارية –أنماط الحوارات غير السوية– الانفصال –التنازع**
ثقافة التعايش	**اختلاف التضاد –الفتنة –الاكتفاء والانكفاء والاستغناء– التنافي**
ثقافة التعدد	**الاستبداد– الانفراد– الحالة الطغيانية– الرؤية الأحادية– التنازع**
ثقافة التكافل	**التجرؤ –التفتيت، الاستقطاب– حال التربُّص– الإقصاء.**
ثقافة الاتصال	**الانفصال– الانقطاع– الاكتفاء– الاستغناء– أمراض الظاهرة الاتصالية.**
ثقافة التراحم	**التعصب– التنافي– الاستبعاد– التحيز– العنف– التنازع.**
ثقافة العدل	**الظلم– الجور– الحيف– التمييز على غير أساس– التحيز**
ثقافة الاهتمام والمشاركة	**اللامبالاة– عدم الاهتمام– حال الإرجاء– الانتظار– والانعزال.**
ثقافة الرقابة والتنمية	**الغفلة –الكسل الاجتماعي –ثقافة البرود– فقدان الهمة الاجتماعية.**
ثقافة الرفق	**العنف البنيوي والهيكلي في العلاقات والسياسات– دوامة العنف.**
ثقافة المسئولية	**ثقافة التملص والتفلت– رؤية الحقوق بمعزل عن الواجبات– إعفاء النفس.**
ثقافة العدل الوسط	**التطرف والغلو، الطغيان والعلو، الظلم والجود، الترف.**
ثقافة الجدية والالتزام	**الاستهانة والتهاون، المداهنة– الاستخفاف، قابليات الإحباط.**
ثقافة دفع الضرر	**ثقافة جلب الضرر– اختلال موازين الضرر– الضرر المصنوع.**
ثقافة المصالح المعتبرة	**المصالح المتوهمة، تغليب المصالح الأنانية على العامة.**

ثقافة تهميش السلطة	تعملق السلطة، السلطة التنين –الرؤية الطغيانية للسلطة.
ثقافة الحضور والتفاعل	الغياب، الاعتزال، البرود الاجتماعي، الاستقالة الحضارية.
ثقافة الحفظ أو الرعاية	الخراب والاستخراب– التفجير– مضادات الحفظ الكلي.
ثقافة الحل والتقويم	ثقافة الأزمة، ثقافة التأزيم، عنق الزجاجة، حال الانتقال الدئم.
ثقافة المصارحة والمكاشفة	المداهنة، الإخفاء، التأزيم، المعرض والتمثيل،حبس المعلومة ....

شبكة العلاقات بين عناصر نموذج السفينة المعرفي
وتجلياته في الدراسات الاجتماعية والسياسية والتربوية
السفينة نموذج معرفي إرشادي

- الإطار المفاهيمي
  - منظومة المفاهيم
  - مفاهيم السفينة
  - مفاهيم الاستهام
  - مفاهيم الاختلاف
  - مفاهيم التعددية
  - مفاهيم التكامل
  - مفاهيم الدرجات
  - مفاهيم السياسية
  - مفاهيم السشلطة
  - مفاهيم الحاجات والضروريات
  - مفاهيم الفرق
  - مفاهيم الخرق
  - مفاهيم النجاة
  - مفاهيم الإنقاذ
  - مفاهيم الإصلاح
  - مفاهيم الضرر
  - المفاهيم القاتلة
  - المفاهيم المخذولة
  - المفاهيم الفرعونية
  - المفاهيم العبدة
  - المفاهيم الحرة
  - المفاهيم المفخخة
  - المفاهيم الحوارية والنووية والإتصالية
  - المفاهيم البور .. الخ
- الإطار النظري والتحليلي
  - وحدات التحليل السفني: شاملة جامعة: الفرد- الجماعة- الأسرة- الأمة- الإقليم- النظام الدولي- العلاقات الدولية العلاقات الاجتماعية العلاقات التربوية
  - مداخل التحليل القادرة على تفعيل المعنى والمغزى السفني في العلاقات الإنسانية و الجماعية والمجتمعية: ثقافة السفينة التربية السفنية الهوية السفنية فقه السفينة
  - بناء الحضارة على أساس النسق السفني وسننه.
- قواعد التفسير وقدراتها
  - المداخل التفسيرية وعلاقات التماسك
  - نظريات التكامل
  - قواعد التفسير وأصول البناء السفني
  - نظريات شبكة العلاقات الإجتماعية والنسيج الإجتماعي
  - نظرية الحفظ والمدخل المقاصدي
  - نظرية الحقوق وارتباط الحق بالواجب والفروض التضامنية
  - تأصيل نظرية السفن
  - نظرية الضرر
  - المثل السفني وقدراته المعرفية والتفسيرية
  - نظرية التربية السفينية
- الإشكالات الأجدر بالتناول وبناء الأجندة البحثية
  - دراسات وصفية وتحليلية:
  - دراسات الأسرة
  - الثقافة السياسية
  - العمليات التربوية
  - العلاقات الاجتماعية
  - العلاقات الاقليمية
  - العلاقات الدولية
  - العالم الإسلامي .. الخ
  - دراسة تنظيرية
  - بناء فقه السفينة في سياق العلوم الشرعية
  - التداخل بين العلوم والظواهر الداخلة في العلاقات السفنية
  - دراسات مفاهيمية
  - دراسات تطبيقية وتقويمية: دراسة الخروقات على مستوى المؤسسات والجماعات، والأمة والكيان العربي وسفينة الأرض .. الخ
- الرؤية الكلية الكونية رؤية العالم:
  - الإنسان:- مواصفات إنسان السفينة "الجماعة السفنية "العلاقات السفنية
  - الكون:- الكون السفني كون مليء بالقواعد والمخاطر والتحدي والانتباه والابتلاء
  - الحياة حياة السفينة ضروريات وحاجيات وعلاقات وإمكانات أصول تفكير وتدبير وتسيير وتفسير السفينة: إرادة وإدارة
  - العلاقات البينية التوحيدية بين الإنسان والكون والحياة

عود على بدء:

المدخل السفني في تحليل الأسرة: دراسة في عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية

في إطار الأهداف الرئيسية للمؤتمر المزمع عقده حول "**واقع الأسرة في المجتمع: تشخيص لأوضاع الحاضر واستكشاف لسياسات المواجهة**"، والتي تحدد هدفه الثاني في بيان بعض القضايا المطروحة على الساحة الاجتماعية فيما يتعلق بالأسرة، لتوضيح وجهة النظر الإسلامية في هذا الصدد، بما يساعد على دعم الدعوة لحوار الحضارات ... بحيث يمكن تناول القضايا المتعلقة بالمرأة والعلاقات الأسرية والتنشئة الاجتماعية (والسياسية) والنموذج المثالي للأسرة في المجتمع الإسلامي، بحيث يساعد هذا الطرح على التلاقي الحضاري؛ تأكيدًا لقيم عالم يؤكد على التعددية (في الرؤى) واحترام القيم والمنظومات الثقافية للآخر، فإن البحث ينطلق من المنظور السُّفني في تحليل الأسرة استنادًا إلى حديث للنبي (عليه الصلاة والسلام) اشتهر "بحديث السفينة".

يقدم هذا الحديث رؤية تتكاملة كلية للتعامل مع الأسرة كتكوين اجتماعي يتصل في نشاطه بالمجال السياسي وعمليات التنشئة عامة والتنشئة السياسية على وجه الخصوص.

هذا التحليل السفني لابد أن يترك أثاره في تحليل الأسرة كوحدة تحليل جماعية واجتماعية ومجتمعية، كما أنه يشير إلى عمليات للتنشئة السياسية والاجتماعية داخل الأسرة، سواء أكانت مباشرة، أو غير مباشرة بما يشير إلى أنساق متنوعة للتفاعل داخل الأسرة. فإن كان "مالك بن نبي" يشير في كتابه (**ميلاد مجتمع**) إلى شبكة العلاقات الاجتماعية والنسيج الاجتماعي، فإننا يمكن أن نتحدث ضمن هذا البحث عن "**ميلاد أسرة**" بما يشير ذلك إلى شبكة العلاقات الأسرية والنسيج الأسري، وحركة الأسرة في المجال الاجتماعي—السياسي.

إن البعض الذي قد يشير إلى أن الأسرة "نموذج مصغر للدولة"، ربما لا يكون مبالغًا، وعمليات التنشئة السياسية والاجتماعية فيها ليست بعيدة عن الأدوار الاجتماعية—السياسية وتأثيرها وفاعلياتها.

في هذا السياق، وضمن هذه الفكرة المركزية، سنقدم في هذا البحث رؤية منهاجية كلية ومحاولة تطبيقها على موضوع البحث المتعلق بعمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية داخل الأسرة، كنموذج لتفعيل بعض الرؤى المنهاجية المستندة إلى "مرجعية إسلامية". السنة النبوية –بهذا الاعتبار– ليست فقط مصدرًا من مصادر المعرفة، بل هي تولِّد –مع مزيد من تأمل وتأصيل– أدواتٍ منهجيةً قادرة للتعامل مع الواقع وتناول مفرداته، والتعامل مع وحدات تحليل ومداخل تحليل، ربما مع مزيد من الجهد تحرك دراسات مماثلة في المجال الاجتماعي وكذا في الحقل السياسي.

وفي هذا المقام يشمل هذا المقترح لهذه الورقة مجموعة من النقاط المهمة:

الأولى– المدخل السفني*: منظور لتحليل الواقع الأسري

الثانية– التنشئة السياسية والاجتماعية والمدخل السفني: المفهوم والعلاقات والعمليات.

الثالثة– المحددات والعمليات المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية والسياسية داخل الأسرة:

* تأثير البيئة المجتمعية المحيطة على عمليات التنشئة السياسية والاجتماعية (الوسط).

* دراسة الأنساق المتفاعلة والمؤثرة على محددات التنشئة السياسية والاجتماعية (الانساق القيمية– نسق العلاقات الأسرية – أنساق السلوك داخل الأسرة – أنساق السلطة – النسق الثقافي وعملية التثقيف السياسي– الظاهرة السياسية والظاهرة الدينية وعمليات التأثير والتأثر بين الثقافة السياسية والأسرة –تأثيرات الأسرة في بناء: الرأي، الموقف، الاتجاه، الحكم حيال فاعليات المجال والنشاط السياسيْن ..إلخ).

وفي إطار هذه النقاط، يمكن تصور تفعيل هذه الرؤية السُّفنية منظورًا ومدخلاً ضمن تكوينات جماعية أخرى اجتماعية كانت أم سياسية، نقدم في هذا البحث نموذجًا لعملية التفعيل معرفيًا ومنهجيًا، قد تلقى النجاح المأمول، أو تصيبها بعض المعائب، والتي سيكون المؤتمر الموقَّر فرصة لكشف عن مواطن قصورها، التي يمكن جبرها، والتي يحسن تداركها من خلال تلك المنتديات العلمية.

القوم	الأطراف والعناصر المكونة للأسرة كوحدة كيانية اجتماعية (ميلاد أسرة).
الاستهام	تعددية الأطراف –علاقات الشراكة والمشاركة – العقدية (الأب – الأم – الأبناء).
السفينة	الأسرة كانتماء أساسي يؤصل مفهوم الأسرة – سفينة، الأسرة – دولة، الأسرة – وطن.
الأعلى والأدنى	حديث الدرجات في كيان الأسرة – توزيع الأدوار وانتشار السلطة (حديث الرعاية والمسئولية)، تقسيم العمل وتكامل الأنشطة الأسرية.
القوامة	حالة شورية ومسئولية.
الارتقاق التفاعلي	الضرورات والحاجيات الأسرية مدخل المقاصد الكلية (ممجالات الحفظ) (ميزان الأولويات) (ميزان الفرد) (تكافل أنواع الحفظ في المجالات ...)
ثقافة الخرق والتربية عليه	الخروقات في الكيان الأسري المؤثرة على أنماط حفظه (حفظ الابتداء- حفظ البناء- حفظ البقاء – حفظ النماء والارتقاء – حفظ التسيير والأداء – حفظ الابتلاء – حفظ الانتهاء ..) (خروق التفكك وخروق التفكيك)، (خروق الأباء – خروق الأم، خروق الأبناء)، (خروق الأساسات، خروق العلاقات، خروق الوظائف والأدوار، خروق المقاصد والغايات الأسرية) (خروق العمليات: العمليات الاتصالية والتفاعلية – الحالة الحوارية والشررية، مقتضيات العيش المشترات، أصول العمليات التعارفية، حقائق المشاركة والاستهام)، فقدان الفاعلية الأسرية (خروق أنساق القيم والتفكير والتدبير والتسيير والتغيير ..)
ثقافة النجاة والتربية عليها	الأخذ باليد وعلى اليد، آليات التنبه والرقابة في الحياة الأسرية، معادلات التماسك الأسري، معادلة الأدوار الأسرية (التكافل والتكامل)، معادلة الفاعلية الأسرية، معادلة العاقبة الأسرية، السفينة الأسرية: هوية وإرادة وإدارة ومصلحة ومصير مشترك، القيادة الأسرية: القدوة والرعاية وانتشار السلطة.

سفينة الأسرة وعمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية:

الأسرة سفينة، والأسرة دولة، بهذا الاعتبار ترتبط الأسرة بعمليات متنوعة في التنشئة الاجتماعية والسياسية، استحقت اسم **التنشئة الأسرية**، والتي تعني ضمن ما تعني عمليات تمثل الأبناء معايير ثقافتهم ومعايير توافقهم، وتحدد وسائل الإشباع للحاجات المختلفة وكيفية التعبير عنها اجتماعيًا، وهي –باختصار– تشكل المعالم الرئيسية لشخصياتهم. وإذا كان الأمر كذلك فإن، مفهوم التنشئة السياسية –والذي برز في الكتاب الغربية بشكل مبكر– إنما يشير إلى مسائل يجب التوقف عندها.

رؤية نقدية لمفهوم "التنشئة السياسية" كما شاع في الكتابات الغربية:

من المؤسف هنا أن نرى شيوعًا عند تحديد مفهوم التنشئة السياسية في الكتابات الغربية، حينما تصف عملية التنشئة منسوبة إلى النظام السياسي ... فيجعلها دالة على "الأساليب التي تنتجها النظم السياسية على مختلف أشكالها من أجل غرس قيم / وتوجهات/ ومبادئ سياسية معينة لدى مواطنيها لخلق نوع من الارتباط القيمي بين النظام السياسي وأفراد المجتمع ضمانًا لاستمرارية النظام واستقراره.

ويتحدثون بشكل هامشي بعد ذلك عن "... القنوات التي تقوم بنشر (هذه) القيم والتوجهات مثل الأسرة والمؤسسة النقلية (المدرسة / الجامعة) والرفاق ووسائل الإعلام وغيرها من القنوات على مابينها من اختلاف وربما تناقض.

تأمُّل ذلك التعريف يدفعنا إلى:

- تقرير أن مجال التنشئة أساليب وموضوعات يقوم عليها النظام السياسي في حالة شبه احتكارية.
- ويحدد الأشكال التي يقوم النظام عليها ← غرس القيم ← لدى المواطن (أو مواطنيها)

التوجهات
المبادئ السياسية
معينة

فيما يحض على مكينة
النظام للمواطن

(معينة): بما يؤكد القيام بعملية الغرس تلك بشكل مواتٍ للنظام، يتضح ذلك في كلمة (معينة)

- والهدف يكمن في **خلق** نوع من **الارتباط** القيمي بين النظام السياسي وأفراد المجتمع.

هذا هو الهدف القريب، فماذا عن البعيد؟ "ضمانا لاستمرارية النظام واستقراره". هذا المفهوم يقع ضمن تحيزات لظاهرة (السلطة)، وهو في حقيقة الأمر تعريفٌ "عَبْدُهُ" يحمل في طياته عناصر (استبدادية)، فينما قد توجد آليات في النظم الديمقراطية.. فإن عملية التنشئة –تصير في التحليل الأخير– في النظم الاستبدادية:

إذا نظرنا لذلك التعريف سنجد أن نظام "صدام حسين الاستبدادي" مثلاً شكَّل حالة نموذجية في هذا المقام، حوّل فيها عملية التنشئة إلى عملية "تعبئة" سياسية. ولاحظ كلمة "**غرس**" فعل الغرس الدال على أن الأفراد والمواطنين ليسوا إلا في حالة قابلة لهذا الوضع (هو مجال للغرس والزرع). والتعيين هنا يشير إلى أن النظام وفق علاقات السلطة في حالة اختيارية يمارس حال الإكراه على المواطن. ثم تأتي كلمة "**(خلق) نوع من (الارتباط) القيمي**" لتعبر عن هدف يتعلق بالنظام ضمن علاقة تتسم بمسارها الإكراهي، والهدف المرتجى (استمرارية) و(استقرار) النظام.

من هنا تبدو عمليات التنشئة عمليات إكراهية لا إقناعية، علاقات السلطة فيها تقع عند اليد العليا (النظام السياسي) وهو أمر قد يؤكد معاني ثقافة الاستبداد (كما يشير لذلك الكواكبي) إذا ما أراد النظام السياسي ذلك، وكان ذلك خيارة في سياساته عامة، وعمليات التنشئة بصفة خاصة.

التنشئة السياسية تم النظر إليها من منظور النظام وليس من منظور الفرد أو (المؤسسات المرتبطة الهادفة إلى عملية التنشئة). وكان الهدف الأساسي هو تحديد اختلافات الأداء بين النظم السياسية وليس الاختلافات والتشابهات بين توجهات الأفراد السياسية، وتنشئة الفرد ضمن مؤسسات خاصة تتفاعل معه وتنقل له قيمًا أساسية وتوجهات متنوعة .. بغرض المواطنة الصالحة (المواطنة الفاعلة القادرة على الوعي وممارسة حقوقها وحمايتها ومراعاتها حق الغير).

التنشئة السياسية

من منظور الفرد (المواطن) والمؤسسات (الحاضنة)

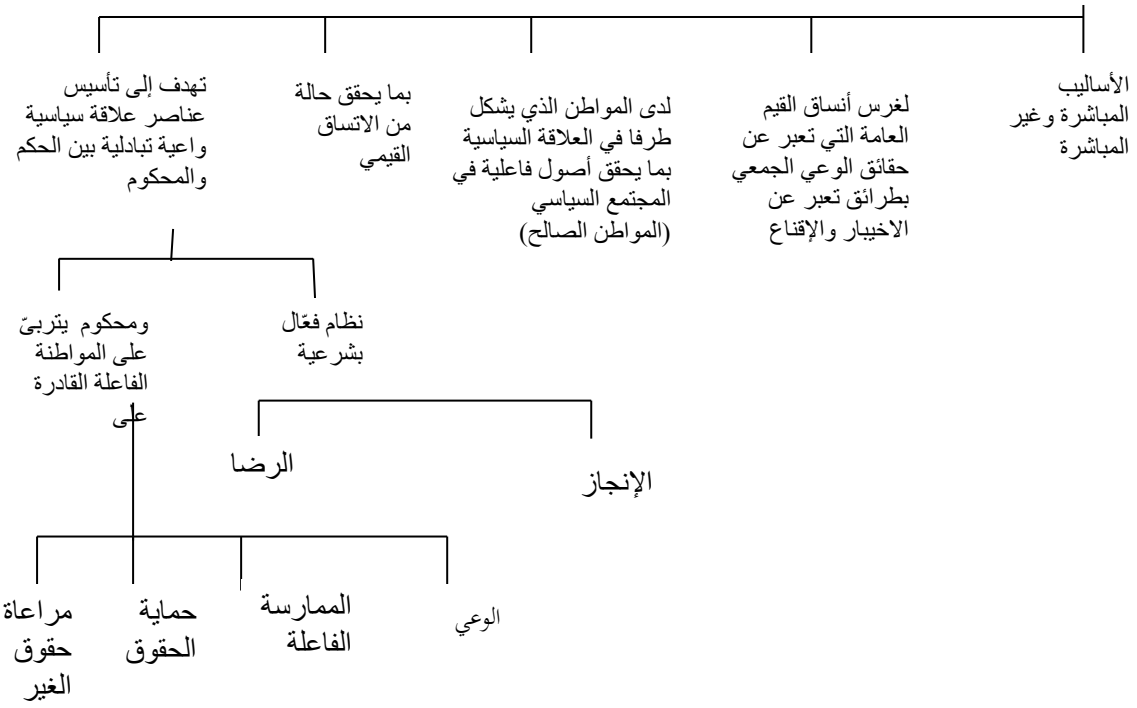

ومن هنا تبدو لنا أن العلاقة العقدية القائمة على الرضا والاختيار لابد أن تصبغ مفهوم التنشئة بصبغة، فتتحرك ضمن مسارات يعدها النظام السياسي ويحدد أهدافها، وأن عملية التنشئة ترتبط بحال الوسط السياسي القائم على قواعد من الحرية والاختيار والفاعلية.

عمليات التنشئة السياسية والاجتماعية ومدخل السفينة:

إن نظريات التنشئة السياسية التي تتراوح بين: نظرية النظام ونظرية الهيمنة إنما تعبر عن حال الهيمنة الكامنة عن طريق (**الاستبداد الحريري**)، أو الهيمنة الظاهرة عن طريق (**الاستبداد الفاجر**).

فماذا يمكننا أن نتصور عمليات التنشئة السياسية من منظور السفينة؟

– أصول التماسك السياسي والاجتماعي

الوحدة في التنوع، والتنوع في الوحدة.

الاستهام المفضي إلى حال التعددية وضرورات التنوع، وفاعلية المشاركة، والإسهام الفعال في صياغة القرار السياسي وصنعه.

أصول التعامل السفني (الوحدة المكانية الجامعة)

ضرورات التعايش، المصلحة العامة وأصول تحديدها، العيش المشترك، المصير المشترك، ضرورات الجامعية المؤدية إلى التفاعلية والفاعلية (التنازع ضمن وحدة القوم ووحدة المكان ووحدة المصير مفضٍ باليقين إلى الفشل المؤدي ضرورة وواقعًا إلى ذهاب الريح والأثر).

إعادة تعريف مفهوم السلطة ومجال السياسة الأدنى والأعلى، الأعلى والأسفل – مفاهيم وظيفة هادفة إلى الفاعلية – السلطة تكليف لا تشريف، انتشار السلطة المقترنة بالتكافل الوظيفي (سلطة الدور والوظيفية)، انتشار السلطة والمسئولية (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته).

الارتفاق السياسي والاجتماعي في توفير الضرورات والحاجيات: دائرة حفظ الكيان – والكفاف مسائل لا يجوز التهاون بها.

الحالة الاتصالية، فاعلية عمليات الاتصال والتواصل وحال التفاعل السياسي (قنوات التوصيل والاتصال والتواصل)، شبكة العلاقات الاجتماعية والنسيج الاجتماعي – الحالة الحوارية وتجنب كل أمراض العملية الحوارية، والخروج عن كل حال التصلُّب الاتصالي أو الجلطات الحوارية، أو حوارات التفجير أو ما في حكمها، الحالة الحوارية لابد أن ترتبط بوسط شوري، الذي يسهم في عالمية الكيان وهو يشير إلى عملية تعارفية بشكل شروطها وقواعدها.

إن أي أزمة أو تأزيم في الحالات السابقة (تصلب عملية الاتصال والصدأ الحادث فيها المانع لحركة الاتصال ونشاطه وفاعليته – انفجار عملية الاتصال) وأمراض الحالة الحوارية التي تفرغ مضمون الاتصال من أهدافه وغاياته والوسط المستبط المفضي إلى تجفيف كل منابع وفاعليات الشورى، والحال الانفرادية الخارقة لكل أصول وقواعد العيش المشترك القائمة على قاعدة تعارفية (معرفة – اعتراف – معروف).

إن حالات الأزمة أو التأزيم لابد أن تتحرك صوب "ثقافة الخرق" المفضي للإصلاح المخروق أو الضال. ويقع في مقابل ذلك "ثقافة التنبه والفاعلية" المفضية إلى النجاة.

كيف يمكن للأسرة أن تترجم **هذه المعاني دورًا ومقصدًا في عمليات التنشئة السياسية؟**.

أولاً– التربية على الاختلاف كمدخل للائتلاف، واختلاف التنوع المفضي إلى الوحدة والتماسك، والتكامل، وخطورة اختلاف التضاد والتنازع على الكيان وجودًا وبقاء واستمرارًا، معادلة التماسك الأسري تحرك معادلة التماسك في أي اجتماع.

* الاختلاف ← الائتلاف ←التكامل ←التكافل ←التكافؤ ← العيش المشترك ← المصالح والمنافع المتبادلة والمشتركة والعامة ← التماسك (مفهوم وتأسيس وبنية وآليات ومقاصد).

ثانيًا– التربية على التفاعل الاتصالي والحواري والشوري:

* الاتصال← التواصل ← الصلة والصلات (شبكة العلاقات والنسيج الاجتماعي) ← الواصلة (الوسائل والأساليب) ← التوصل (القنوات وانسيابة الاتصال) ← حالة حوارية وسط شوري ← فاعلية الاتصال

- رابطة سياسية
- الحقوق والواجبات
- صناعة القرار
- فاعلية الإنجاز
- وضوح الأدوار وتكافلها
- توزيع الموارد بمعناها الشامل
- تأسيس العلاقات (النسيج الاجتماعي)

ثالثًا- الاستهلام ← التعدد ← النصيب التشارك العيش المشترك مقتضياته ومتطلباته وضروراته المشاركة ← صناعة القرار ← الفروض التضامنية والتكافلية (فروض الكفاية فروض الأمة) ← الفاعلية في المجتمع وعملية عمرانه وإنمائه وترقيته.

رابعًا- التربية والتدريب القيادي ← القيادة قدوة ← القوامة مسئولية ← حديث الدرجات (القيادة تكليف لا تشريف) تمايز الوظائف اختلاف الأهلية والملكات تقسيم العمل تكامل الأدوار حالة انتشار السلطة (الرعاية) حالة الرعاية المتكاملة والسلطة مسئولية (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته)

ليس عجيبًا أن نرى الحديث يشير في أمثلة الرعاية إلى عناصر ثلاث (الرجل، المرأة، الخادم) لهم علاقة بالتكوين الأسرة وعملية توزيع الأدوار وتكافلها، شبكة السلطة وانتشارها والارتباط الذي لا ينفصم بين السلطة والمسئولية (الرعاية) (رعاية ممتدة ومسئوليات محددة متكاملة ومتكافلة).

خامسًا- التربية على ثقافة النجاة وخطورة ثقافة الخرق، وهي مسائل لا تشير إلى المبادره إلى المشاركة في المجتمع أو التكوين الاجتماعي، ولكن نوعية المشاركة هي الأساس في فاعلية تلك المشاركة حينما تصب في عاقبة الكيان الاجتماعي والسياسي.

الوعي بالمشاركة ← التنبه وخطورة اللامبالاة ← الرقابة والمحاسبة ←
والمسئولية والشفافية في انسياب المعلومات الواجب التعرف عليها

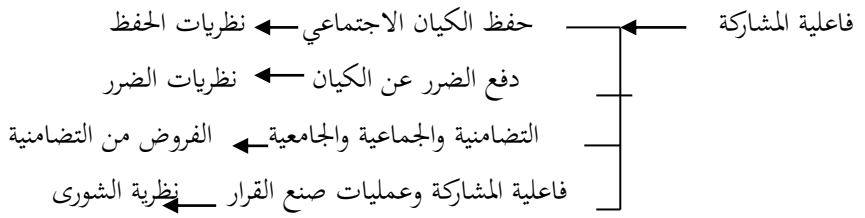

الأسرة ليست بعيدة عن كل ذلك حينما تربي أبناءها على المشاركة والفاعلية، والمشاركة لابد أن تكون واعية هادفة، والمشاركة حالة نشاط وعملية تدريب وتجريب، لابد للأسرة أن تنمي لدى أبنائها التنبه والمسئولية والمساءلة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

ضمن هذه المعادلات التي تشير إلى مفاصل عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية كفعل إيجابي وواعٍ ومقصود يؤسس على قاعدة من "التعلم، والتربية، والتدريب".، فإن البحث في فاعلية التنشئة تجعل الأسرة لابد أن تتطرق إلى الجانب السلبي في عملية التربية، فإذا كانت المعادلات السابقة تعبر عن حال **التحلية** في التربية التي تشير إلى ترسيخ السلوك الإيجابي الفعال، فإن حال **التخلية** في التربية يشير إلى ضرورة تأسيس وعي قادر على التعرف ومواجهة كل ما يؤدي إلى:

* مضادات هذه المعادلات الإيجابية في عمليات التنشئة الأسرية، الاجتماعية منها والسياسية.
* ثقافة وتنشئة الفرقة والتنازع والفشل وعدم الفاعلية ضد ثقافة وتنشئة اختلاف التنوع المفضي إلى الائتلاف.

* ثقافة العزلة والانعزال والانكفاء والاستغناء، ثقافة وتنشئة الاستبداد والاستبعاد وعقلية القطيع والتقليد الأعمى، تنشئة الصوت الواحد (الفرد) ومقتضيات العيش المشترك،ثقافة العنف، ثقافة وتنشئة الانفصال وتقطيع الأواصر والإضرار بشبكة العلاقات الاجتماعية وتمزيق عناصر النسيج الاجتماعي وقوته وفاعليته.

* تنشئة الاستهام والمشاركة والفاعلية والانخراط في شئون وهموم المجتمع، خاصة فيما يحسن أو يتأهل له، تقابلها تنشئة اللامبالاة والكسل، وتنشئة التواكل وفقدان حال كل من "الإرادة والاعتماد على الذات"، والمبادرة على قاعدة من تحقيق النفع الاجتماعي والصالح العام، كل ذلك لابد مع ترسخ عناصر تنشئة تقوم على حال السلبية واللامبالاة، إنها لا تنتج إلا مجتمعًا خاملاً، إنه لا يَنْتُج عنها إلا القوم البور، أو عبدُ كلُّ على مولاه أينما يوجه لا يأتي بخير.

* التربية على ثقافة "الرعاية" و"المسئولية" يقابلها عناصر لا يتصور فيها أي عنصر من عناصر سفينة الأسرة، أو الأسرة – الدولة، أن السلطة ليست إلا استطالة وسطوة، وطغيانًا وتجبرًا، واستبدادًا وتكبرًا، وتعسفًا في استخدام السلطة وتحيزًا.

إن فقدان معنى المسئولية يفرغ معنى الرعاية من شرطه وجوهره الكامن فيه، وهي تولد شخصية مستخفّة مستبدة، والاستبداد مفضٍ غالبًا إلى الفساد، ويحرك معاني التربح من أي ولاية أو سلطة أو غير ذلك؛ مما يشكل أوسع أبواب الفساد، وتأسيس شبكته القائمة على الغش الاجتماعي والسياسي وكل عناصر التطفيف الاجتماعي والسياسي.

الرعاية والمسئولية ضد أي ثقافة أو تنشئة تتحرى التزوير؛ لأن ذلك إنما هو تدليس على الجماعة، وأي تكوين اجتماعي، وهو يؤصل لبابٍ واسعٍ من أبواب الفساد وترسيخ قواعده.

إن عناصر أي سلطة ضمن منظور الرعاية لا ترى في القيادة إلا مدخلا للقدوة والمسئولية.

ولعل ذلك يحرك البحث في قضية بناء السلطة داخل المجتمع الأسرى فيما يعرف "**بالقوامة**"

* القوامة –وفق هذا التصور المولّد عن مفهوم الرعاية والمسئولية والشورى– إنما تشير إلى الجهل بالمعنى الحقيقي المقصود بالقوامة، وبالتالي التطبيق الخاطئ لهذا المفهوم، ذلك التطبيق الذي ظَلَمَ الأسرة قبل المرأة، وحرك نوازع استبداد الرجل بأسرته، كما حرك بالمقابل قابليات المرأة لكل شعارات تفكيك الأسرة عبر ما يسمى "تمكين المرأة". وهذا ينافى جوهرًا وقيمًا المفهوم الإسلامي الصحيح والعميق للقوامة.

* والقوامة وفق هذا التصور مسئولية بما ترتبط به من ضوابط وشروط، كما أنها تشير إلى حكم خاص غير عام يرتبط بالكيان الأسري، فلا تعني الآية أن القوامة حكم عام يشمل أي ذكر وأي أنثى. ويقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: "وقيام الرجال على النساء هو قيام الحفظ والدفاع". وهي قوامة إنفاق ورعاية وحماية وإشراف، وهي قوامة أسرية لمصلحة المجموع والكيان الأسري. القوامة حالة سفينة تعبر عن مفهوم القيادة بالاعتبار القاصد إلى الرعاية والقدوة.

واللغة في هذا المقام تقدم حُجة إضافية فالقوام "... الحسن القيام بالأمور" والقوامة القيام على الأمر أو المال، وقام على أهله: تولَّى أمرَهم وقامَ بنفقاتهم، وفي لسان العرب "القيَّم السيد وسائس الأمر ... وقيَّم المرأة: زوجها لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه"، والقوامة ليست حركة استبداد أو اعتساف، فها هو النبي في معرض خطبة في حجة الوداع التي تشكل بيانا مهما حال النظر إلى النساء باعتبارهن "شقائق الرجال .."، "ألا واستوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوان عندكم.."، ورغم أن القوامة قد تكون "حدًا" إلا أنها ليست رقًّا. إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء فاعليتها المجتمعية، والقوامة لها نطاق محصور ومقصور وليس

شاملاً. القوامة عبء معنوي ومادي، والقوامة ليست حالة استبداد يعصف بكيان الأسرة أو علاقاتها أو أدوارها أو فاعليتها.

أما ثقافة الخرق والتنشئة عليه فإن ما ذكرناه آنفًا ليس إلا مؤشرات على تنشئة الخرق والتفكير الأخرق أو ثقافة انتظار الخارق من الأفعال والمعجز منها والخوارق، إنها النتيجة المفضية لبنية تربوية أساسية غير سوية (خرقاء) تتأسس على الخرق، والخرق لا يعني إلا الغرق، والخرق لا يفضي إلا إلى عاقبة الهلاك، إن أصغر خرق –كما يؤكد مصطفى صادق الرافعي– لا يعني إلا أوسع قبر.

برلمان الأسرة: خبرة ذاتية في تسيير سفينة الأسرة:

ضمن هذه النقطة المتعلقة بسفينة الأسرة وعمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية، يحسن أن نشير إلى عناصر خبرة ذاتية، فمنذ سنوات خلت، وبعد بلوغ الأبناء السن الملائم لاكتساب خبرات حياتية، وضمن سياقات ترى في الأسرة فضاءً للتعامل والعلاقات مناسبًا لتجريب شأن مواجهة المشكلات، وإدارة الشأن الأسري، والإسهام الفعال في المناشط الأسرية الحافظة لكيانها وفاعلياتها، تم إعلان ما أسميناه ضمن نطاق الأسرة "**برلمان الأسرة**"، بالاعتبار السابق الإشارة إليه من "الأسرة –الدولة". هذا البرلمان يحدد اجتماعه شهريًا، فضلاً عن الاجتماعات الطارئة، إن طرأ ما يستدعي الاجتماع، من المهم هنا أن يطلب أحد أعضاء الأسرة المكونة من خمسة (الأب والأم وولدان وبنت) وينكيه آخر حتى ينعقد الاجتماع الطارئ.

من المهم هنا أن نشير إلى نماذج من إشكالات استدعت الاجتماع الطارئ أو فرضت نفسها على الاجتماع الاعتيادي:

النموذج الأول– ميزانية الأسرة وأنماط الطعام: أعلن فيه أحد أبنائي عن امتعاضه وعدم رضائه من نمط الطعام المتكرر، رغم وجود موارد مالية يمكن أن تغطي مطالب تنوع الطعام.

وهنا ساندة الأخ الآخر والابنة، الأمر هنا يشير إلى امتعاض عامٍّ من إدارة "الأم" لمسألة الإطْعام وأنماطه، وهنا كان الاجتماع الذي أعطى مؤشرات على وجود المشكلة وضرورات الشكوى من هذا الحال، ومن هنا كان اقتراحي –بعد تشخيص الإشكال– محاولة للبحث عن حلول، وقررت بعد إقناع "الأم": بإحالة ميزانية الإعاشة على الابن الذي بادر بالشكوى.

والشاهد في القضية أنه استطاع أن يلبي طلبات الجماعة –خاصة أخيه وأخته، في التنوع في قائمة الطعام، إلا أنه في يوم الرابع عشر من الشهر كانت الميزانية على وشك النفاذ وتشاور مع أخويه حول هذا الإشكال، فافضيا إليه بضرورة المكاشفة بصدد الوضع المالي، وهنا طلب الاجتماع ليعرض الموقف المالي الذي كان في أسوأ حالاته، معلنا أنه فشل في الجمع بين "المتاح" من أموال و"المتنوع" من الرغبات وفيض الطلبات، وطلب الإعفاء من عبء تحمل إدارة ميزانية الإعاشة. وهنا كان لابد من فرصة لإرساء قيم تتعلق بأنماط الطعام، وبدا لي أن أنوه إلى مقولتي سيدنا عمر بن الخطاب: "اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم .."، وأخرى مفادها: "أكلما اشتهيتم اشتريتم"؟، وأردفت ذلك بمشاهدة لي رأى العين لشخص يفتش عن طعام يأكله في بعض صناديق القمامة من دون مبالغة في هذا المقام.

وبدا لنا أن نحدد يومًا في الأسبوع نلبي فيها طلبات الكافة من تنوع الطعام: "وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوا"سورة الأعراف آية 31، وبدا لنا التحدث عن السَّرف والترف، ومفاد الآية " ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ " سورة التكاثر آية 8, والنعيم لم يكن إلا شربة ماء قد يحتاجها الإنسان.

بدت كل تلك القيم المباشرة المتعلقة بموضوع الإشكال (الميزانية وأنماط الطعام)، إلا أن القيم غير المباشرة التي توازت معها كانت تشير –ومن كل طريق– إلى معاني المسئولية، وحسن الإدارة، والمواءمة بين الاحتياجات والرغبات، والحالة الشورية التي كانت مناسبة لإبداء الرأي في موضوع، الذي منع من بعد تحوله إلى حال أزمة أو تأزم في العلاقات بين الأباء والأبناء، وغير ذلك من ضرورات الحالة الحوارية وعناصر الاتصال والتواصل الدائم، والعلاقات القائمة على قواعد من الإقناع لا لإكراه، وحسن الإدارة والتدبير.

النموذج الثاني– ميزانية الوقت: المصيف بين التأجيل وتشكيل الجماعة الضاغطة:

نموذج آخر من حال الامتعاض الذي اشتد في درجته إلى حال الأزمة والتمرد على قرار التأجيل، في ظل عمل متراكم ومتطلبات برزت كان الأمر مفضيا إلى ضرورات تأجيل الذهاب إلى المصيف لأخذ قسط من الراحة، ونظرًا لانشغال "الأب" و"الأم"، كان قرار التأجيل، هذا القرار لم يعجب الأخوين وانضمت الابنة من بعد إليهما للإعلان عن عدم الرضا.

كان لسان حالهم يقول "أنتما مشغولان أو مشتغلان فما ذنبنا نحن؟"، إن قرار التأجيل ليس إلا عملية تفويت لفرصة، وبدت الأمور كلها تصب في ضرورة عقد اجتماع لبرلمان الأسرة لمناقشة الأمر، وبدا الإخوة الثلاثة يركزون على مقال لسان الحال السابق الإشارة إليه، وبدت بذور جنينية لاقتراح مفادة نحن في إمكاننا السفر إلى المصيف (الإخوة الثلاثة)، ويظل المشغول على انشغاله، وهو وجدت من الأصلح تأييد تنفيذه، ولكن ضمن عملية حوار أفضى إلى شرط، وهو أن المدة الزمنية التي ستستمر أسبوع تحتاج إدارة العلاقات بين الإخوة الثلاثة، وإدارة معاشهم خلال ذلك الأسبوع، وكان اقتراح التجريب –تحت النظر– لتسيير الأمور من ثلاثتهم استقلالاً عن الأب والأم.

بدت عناصر تحكمية تبرز لدى الابن الأكبر، ومنازعة من الأصغر، وحقوق شبه ضائعة للبنت، وبرز كم من الخلافات استعصى على الحل فيما بينهم، وامتنع على التنظيم فيما بينهم، وبعد تجارب لم تتعدَّ الأيام الثلاثة استقر رأي الثلاثة على ضرورة أن نكون بصحبتهم إذا كان هناك بدٌّ من قضاء إجازة صيف وراحة.

بدا هذا النموذج مهمًّا في التدريب على ضرورة التعرف على نسق الأولويات. إن عناصر إدارة الخلافات تحتاج إلى خبرات، فضلاً عن ضرورة وجود الحَكَم النزيه القادر على إعطاء الحقوق والتعامل مع مواقف الخلاف، وتقدير ظرف أطراف الأسرة، الإشكالات التي تتوارد في أقل اجتماع (الثلاثة): "إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا أحدكم"– الحديث، التفرقة بين عناصر الضروري والحاجي والكمالي أو التحسيني، التعامل والتفاعل الحواري والتواصلي والإقناعي والشوري، بحيث يوفر وسطًا مواتيًا للتراجع عن الرأي إن لم يكن فيه نفع عام لمجموع الأسرة، وغير ذلك من قيم سلوكية اجتماعية، وتتعلق بالتنشئة السياسية كمجال تدريبي على العلاقات داخل الأسرة ضمن مفهوم الرابطة الرضائية، المقتضيات التي تتعلق بخبرة العيش المشترك.

النموذج الثالث– ابني الأكبر، وقرار الهجرة: قرار ذاتي أم قرار جماعي أسري؟

ضمن أصول التعامل والتفاعل الأسري، لابد ن توضع القواعد والمعايير والآليات لاتخاذ القرار وصناعاته. إن منطق "هلا خرقنا خرقًا في موضعنا هذا ولم نؤذِ مَن فوقنا .." في صياغة وصناعة واتخاذ القرار ليس إلا "خرقًا" في الكيان الجماعي الشوري للأسرة. الابن الأكبر تخرج في كليته، ويعمل تكليفًا في إحدى المستفيات، يبدو أنه واجَهَ بعضَ مشاكل في حياتِه وعلاقاتِه، تبدو هذه المشاكل –وفق تصوره– استعصت على الحل، وأفقدته الثقة في بعض مَنْ كانوا

محلَّ ثقته، علاقته بأهل رحمه ليست كما ينبغي. تبدو تلك الإشكالات واحدة من ثمار أو إن شئت الدقة —من ثمن– سفري إلى إحدى الدول الخليجية في إعارة لمدة أربع سنوات.

قرار سفري للإعارة لم يتخذ فردًا ولكنه اتُّخذ جماعيًا بعد عرض الموضوع على الأسرة، القرار هنا له جانبان: **الأول–** اجتماعي يحفظ للنسيج الأسرى كيانه وعلاقاته التي لابد أن يطرأ عليها تغير ما بالسفر (الأب، الأم، الابنة الصغيرة)، الولدان لمقتضيات التعليم الجامعي باقون في مصر. **الثاني**– مادي: أمر يحقق بعض المطالب المتوقعة والرغبات التي يصعب تحقيقها ضمن دخل قد يكفي بالكاد لتحقيق وسدَّ ما هو ضروري وبعض الحاجي. القرار اتخذ جماعيًا بالسفر إعارةً إلى إحدى دول الخليج.

فوجئت في أحد الأيام أن ابني الأصغر يلقي إلىّ بمعلومة: إني أخي الأكبر قد سَحَبَ طلبَ هجرةٍ إلى بعض البلاد (كندا – أستراليا –...) وأنه بصدد أن يقدم تلك الطلبات؛ لأنه قد اتخذ قرارًا (بينه وبين نفسه) أن يهاجر من بلده إلى بلد آخر.

معرفة هذه المعلومة اقتضى ضرورة عقد اجتماع طارئ للبرلمان الأسري، لمناقشة هذا الأمر، فوجئ الابن الأكبر أنني أفتح الموضوع، وقد كنت متأثرًا ليس بقرار الهجرة فحسب، ولكن التأثر الأكبر بمنهج اتخاذ القرار وانفراديته، فضلاً عن اتخاذ القرار والشروع في إجراءات تنفيذه "سرًا" من دون مكاشفة ومصارحة وحالة من الشفافية في نقل المشكلات اعتادت عليها الأسرة.

طلبت من ابني الأكبر عرض فكرته وحيثيات اتخاذ قراره، وتفسير لماذا اتخذ قرارًا بهذه الخطورة على هذا النحو؟ وبدت الأسباب في هذا الحوار تترى وتتوارد على لسانه، كان أهمها أنه يريد أن يتعلم أكثر في تخصصه ويحصل على الزمالة على قاعدة مكينة وبغض النظر عن هذا السبب الظاهر، فإن التحاور حول "قيمة الانتماء"، وضرورة ألا تبادر الكفاءات بترك الوطن أو الهجرة منه ونظرة الشباب إلى كل ذلك.

وكانت ردوده كلها تنبئ عن حالة من تشوش في التفكير مع خليط من الطموح، مع حالة شبابيه عامة قد ترى ألا مستقبل لها في هذا السياق، وكان المهم أن نحاول تفكيك الموضوع الذي يتعلق بقرار الهجرة إلى جملة من المتعلقات به (الهوية، المستقبل، الانتماء، التعلم في الخارج، ثمن الهجرة، هجرة الكفاءات ..)، وبدت تلك حالة نقاشية تشير في بعض جوانبها أن مؤثرات جانبية للابن الأكبر في إدارة علاقاته مع بعض أصدقائه جعلته يفقد الثقة في بعضهم رغم سابق علاقة وطيدة معهم، وربما تمر هذه العلاقات ببعض الأزمات، يجعل من قرارًا الهجرة، أقرب ما يكون قرار بهجرة المكان، وربما الهروب من أزماته.

إلا أنه من المهم في هذا المقام أننا توصلنا إلى قرار التأجيل لمناقشة مستفيضة لهذا الأمر بمتعلقاته وتوابعه ومآلاته.

إلا أن الأمر الذي يتعلق بطريقة التفكير وصناعة القرار بشكل انفرادي إنما كان يؤشر بشكل أو بآخر إلى افتقاد روح المكاشفة، ولعل هذا الأمر جعله يؤكد في إحدى مقولاته أن هذا أمر يخصُّه في هذا المقام، سيقع عليه وحده غرمه أو غنمه أو الاثنان معًا.

ومن هنا دار حوار: هل هذا الأمر يخصه منفردًا منفردًا دون أسرة ينتمي إليها؟ وبدت الأمور يختلط فيها حوار عقلاني بحوار آخر عاطفي انفعالي، يحاول الإشارة إلى أمور تتعلق بترك الأسرة؟ وترك الوطن؟ قد يكون هناك ما يغضبه من بعض ممارسات هنا أو هناك .. **فماذا عن أسرته؟**

وكان الأمر الذي توصلنا إليه –وبشكل مؤقت– أن اتخاذه قرار الهجرة –لو اتخذه منفردًا– فليتحمله منفردًا، ولو اتخذه بمشورة جماعة منا وحوار متبادل بيننا، فقد نعينه في تحمل هذا القرار خاصة بمغارمه.. ويبدو ذلك تفكيرا صار عاما لدى الشباب لإحساسهم ببعض اليأس أو الإحباط، ويُنقل هذا الشعور "بالعدوى" بين جماعة الأصدقاء، وربما يترافق معه مقترحات فيما بينهم، كلها تؤدي إلى معنى أن "الهجرة هي الحل"، ويبدو أن بعض الأسر قد لا تقدر خطورة مثل هذا التفكير، فربما تُعين على ذلك، ولا تجعل من ذلك أدنى إشكال.

غاية أمر هذا النموذج أنه لابد على الأسرة أن تلاحظ المتطلبات العُمرية للأبناء، وأن يحرص الآباء على جَسْر الفجوة بين الأجيال، في إطار يحرك المنهج القويم في التفكير بالأمر.

خاتمة حول تمكين الأسرة

أسرة السفينة وسفينة الأسرة

حول معادلات التنشئة الاجتماعية والسياسية في الأسرة

في ضوء المنظور السفني

كنا قد افتتحنا هذا البحث بالإشارة إلى الدواعي المفضية إلى دراسة موضوع الأسرة مجددًا، والمقترح الذي يؤشر على أهمية تطبيق مدخل السفينة في النظر والتحليل والتفسير.

وقد أشرنا إلى بعض المسائل التي تصب جميعًا في حال "تفكيك الأسرة"؛ سواء كان هذا التفكيك معرفيًا أو عمليًا يؤدي إلى التفكك. وكان من المهم أن نشير منذ البداية أن عمليات التفكيك تلك؛ سواء للمفهوم أو التصورات، أو الأدوار والوظائف، أو الأشكال والمقاصد، ليست إلا مناطق إضعاف للأسرة ومحاولة إقصاء فعالياتها، إلا أن هذا الفعل لم يكن ليجد تأثيره إلا في ظل قابليات تفكك أسري في الداخل، مكنت لعمليات التفكيك تلك، والتفكك في الداخل شهد على نفس مستويات التفكيك خلالاً واضحًا.

إن أسرة السفينة وسفينة الأسرة لابد أن تعبر عن:

* معادلة التماسك الأسري المفضية إلى الجامعية والتكاملية والتكافلية.

* ومعادلة الأدوار والوظائف الأسرية إنما تنتج أدوارًا مهمة، تشير إلى عناصر تقسيم العمل، وتعبر عن معنى القوامة (القيادة)، دون إهمال معاني (الرعاية)، و(المسئولية)، و(القدوة).

والحراك داخل الأسرة يعبر عن نماذج رعاية متبادلة ومتكافلة ومتكاملة: (ألا كلكلم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته).

* ومعادلة الفاعلية الأسرية لا تمنع –كما لا تحجب– فاعليات أي طرف في الأسرة ما كان ذلك يصب في فاعلية الكيان الأسري وقدراته وإمكاناته، وحفظه وترقيته وتنميته وعمرانه.

إن فحص الأسرة يشكل بيئة سوية وقوية لحفز الفاعليات والوصول بها إلى أقصى مدى، إلا أن فعالية أي طرف فيها ليس إلا تمكينًا لفعالياته وتمكينًا له، تمكينا يكون عبر الأسرة وليس على حسابها أو تهميش فعاليتها، إن تراكم الفعالية الأسرية هو الضامن ليس للكيان واستمراريته، بل القيام بوظائفه الاجتماعية والسياسية في إطار تنشئة فاعلة، وهي تنشئة يتعلم فيها الجميع من الجميع، إنها فروض عينية وتكافلية تعبر عن "**ميلاد أسرة**" وشبكة علائقها ونسيجها المجتمعي والاجتماعي.

* معادلات ثلاث كلها تصب في معادلة أخيرة، وهي معادلة "**العاقبة الأسرية**"، ضمن تصور السفينة القائمة على قواعد العيش المشترك، ووحدة المقصد والمصير.

إن فاعليات التماسك وتكافل الأدوار وتكاملها، والفاعلية الأسرية، هي التي تحدد النجاة الأُسْرية العامة، وليس لأحد أن ينقر موضعه من سفينة الأسرة ...بفأسه زاعمًا أنه موضعه من الحياة الاجتماعية يصنع فيه ما يشاء، ويتولاه كيف أراد، موجَّها لحماقته وجوهًا من المعاذير والحُجج، ...جاهلاً أن القانون في السفينة إنما هو قانون العاقبة دون غيرها ... فلا حرية هنا في عمل يفسد خشب السفينة أو يمسه من قُرب أو بُعد، ما دامت ملجّجة في بحرها، سائرةً إلى غايتها، إذ كلمة (الخرق) لا تحمل في السفينة (سفينة الأسرة معناها الأرضي، وهناك لفظة (أضغر خرق)) ليس لها معنى إلا معنى واحد وهو (أوسع قبر).

إن كل تفكير أو تدبير أو تسيير، مهما يكن من حريته وانطلاقه، فهو هاهنا محدود على رغم أنفه بحدود من الخشب والحديد، تفسيرها في –لغة البحر– حدود الحياة والمصلحة، وكما أن لفظة الخرق يكون من معانيها في البحر القبر والغرق والهلاك ... فكلمة الحرية (بلا حد) يكون من معانيها الجناية والزيغ والفساد.

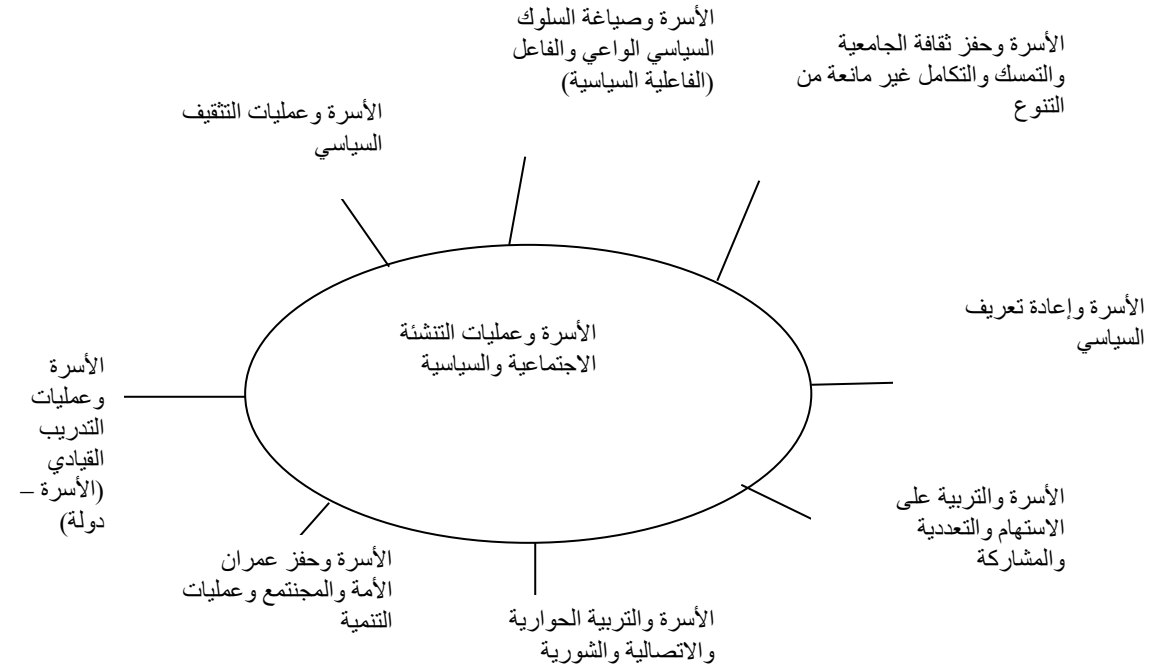

إنها أسرة الدافعية والجامعية والفاعلية، الأسرة الحافظة والحاضنة، إنها أسرة السفينة حينما تُمكّن، فتمكَّن لكل عناصرها (الأب والأم والأبناء)، (الرجل والمرأة والطفل)، تمكينًا ينغرس في السفينة الأسرية لا بقطعه عنها أو بمنعه من فاعلياته.

في ختام ذلك البحث لازلت أتأمل "سفينة نوح" التي لم تكن إلا أداة إنقاذ للبشرية بعد طوفان اجتاح أي شيء وكل شيء. السفينة –في هذا المقام– لم تكن إلا أداة إنقاذ، إلا أن مادتها لم تكن إلا أسرة (من كلٍ زوجين)، لتشير بذلك إلى أهمية هذا الكيان:

" فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) سورة المؤمنون آية 27، وكان هذا استثناءًا لأصل الحياة: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ" سورة الصافات آية77. سفينة الإنقاذ لا تحتمل إلا الصالحين المصلحين، هذه مهمة لا يقوى عليها إلا الصادقين، فهذا حوار نوح مع ربه " إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ" سورة هود آية 45، " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ" سورة هود: آية 46، إن مَنْ هو مِنَ "**الأهل**" لابد أن يكون **أهلاً** لذلك **متأهَّلا** له.

ولازلت أتأمل الفرعونية حينما فرّقت المجتمع وتماسكه، فاستبدت بالأسرة وعناصرها: " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" سورة القصص آية 4.

إن من أهم علاقات استبداد الفرعونية وعَسَفها، أن علوّه في الأرض وطغيانه أوصله لحال استضعاف واستخفاف دمّر فيه الأسرة.

كان هذا الحوار السياسي بين سيدنا موسى وفرعون حينما منّ عليه بتربيته إياه: " قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ" سورة الشعراء آية 18، ولم يكن احتجاج سيدنا موسى في مواجهة هذا المنّ الفرعوني إلا انتقالا من الخاص (أمر تربيته) و(أمر أسرته) التي خاطرت به بعد أن ألقت أمه به في اليم ... إن موسى يصعد من هذا الأمر الخاص إلى حال الرسالة العامة ليلفت إلى استبداد الفرعونية مبلغًا فرعون: " وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ" سورة الشعراء آية 22.

هل يمكننا أن نتعلم درس "سفينة الأسرة" التي تدخلنا من كل طريق إلى "سفينة –البشرية"؟ وهل تعلمنا كيف ارتبطت السفينة بالخَرْق والغَرَق؟ وكيف يرتبط كل ذلك "بالأهل": بالأسرة: " أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا" سورة الكهف آية71.

والله أعلم